

الأصحاح الثاني والعشرون

مقدمة:

يعود الروح فينطق بغم إشعيا النبي كلمات نبوية على أورشليم... وفي يوم افتقاد ذنوبها... منذراً بخرابها والويلات التي ستحل بشعبها وبجلس الملك المتمتع بالسلطان والأمان...، وتكشف النبوات عن العمى الروحي الذي يصيب شعب أورشليم في ذلك الوقت فلا يميزون صوت الرب ولا يعرفون إرادته، فهو في أيام تأديبهم يدعوهم إلى البكاء والنوح والتتطق بالمسوح (ع ١٢) فإذا بهم في تلك الأيام عينها يعيشون في بهجة وفرح وذبح وأكل لحم وشرب خمر، ولسان حالهم يقول: "لنأكل ونشرب لأننا غداً نموت".

فإذا عبر زمان التوبة والبكاء ولم يعرف الشعب زمان افتقاده، فبالتأكيد سوف يجني مُر الثمر ويكابد عقاب دينونة مخيف.

على أننا تعودنا في نبوات إشعيا أن نسمع رنات الرجاء المفرح تولد بعد أقسى الكلمات والتهديدات، وشعاع النور ينبثق من داخل قبر الظلام... فمجد ونشكر صانع الخلاص الذي أعطانا رجاءً صالحاً بالنعمة، وأقام لنا في كل قرن خلاص.

على هذا تنتهي نبوات هذا الأصحاح بظهور المخلص بصورة جلية، لابساً ثوبه الملوكي في بيت داود، ومنتظماً بالحق، وسلطانه في يده كأب لسكان أورشليم ومفتاح بيت داود على كتفه (أي الصليب) فيفتح ولا أحد يغلق ويغلق ولا أحد يفتح.

١. "وحي من جهة وادي الرؤيا: فما لك أنك صعدت جميعاً على السطوح.

٢. يا ملآنة من الجلبّة، المدينة العجّاجة، القرية المُفخّرة؟ قتلاك ليس هم قتلى السيف ولا موتى الحرب.

٣. جميع رؤسائك هربوا معاً. أسروا بالقسي. كل الموجودين بك أسروا معاً. من بعيد فرّوا.

٤. لذلك قلت: اقتصروا عني، فأبكي بمرارة. لا تُلحُوا بتعزيتي

عن خراب بنت شعبي".

+ ترى ماذا يقصد الروح عندما يدعو أورشليم بوادي الرؤيا؟ أليست هي مدينة الآباء، الذين تمتعوا برؤية الله، مثل إبراهيم وموسى وصموئيل وإيليا و... وفيها الهيكل داخله قدس أقدس الله حيث يتراءى مجد الله في الشكيناه، حيث الناموس والشريعة والعبادات التي تتجلى فيها علاقة الله بشعبه!!

لذلك يدعوها الوحي بوادي الرؤيا لعله يوقظ فيها البصيرة التي انطمست. إن أورشليم ذاهبة في مسالك العالم، ولو أن النبوات هنا تخبر بخرابها ولكنه كما قال لها الرب يسوع: "أخفي عن عينيك" (لو ١٩: ٤٢).

لم تعد بعد وادي للرؤيا، ولكن لفها الظلام... إذ لم تعرف زمان افتقادها (لو ١٩: ٤٤) ولكنها في محاولة للرؤيا البشرية "صعدت على السطوح" لعلها تستطلع شيئاً من أمرها ولكن ليس هكذا تأتي الرؤيا بحسب الله، فأعلانات الله لا تأتي إلا للمتضعين، "إلى هذا أنظر إلى المسكين والمنكسر الروح والمرتعذ من كلامي".

+ قد يعني أنها صعدت على السطوح، أي انجرفت في تيار المظهرية الكاذبة وصار ليس لها عمق أصل، وأصبحت كما يقول المزمور عن الأشرار أنهم مثل عشب السطوح الذي يببس قبل أن يُقطع.

وهكذا يناديها الوحي، يا ملأنة من الجلبنة المدينة العجاجة القرية المفتخرة وكل هذه سطحيات غاشة ومظاهر عالمية وافتخار باطل، إن أورشليم هي مدينة الملك العظيم، فيجب أن يكون الرب هو متكلها وافتخارها، ويجب أن تظهر أمام الرب في زينة مقدسة، أما أن تجاري أهل العالم وتفتخر بأمره فهذا يحسب لها عاراً وخزياً.

قتلاك ليس هم قتلى السيف ولا موتى الحرب:

قبل أن يأتي السيف على أورشليم ويقتل رجالها وفخر شبانها بحسب الجسد، كانوا قد طعنوا أنفسهم بأوجاع محبة العالم وفصلوا أنفسهم عن مصدر حياتهم فصاروا أمواتاً بالذنوب والخطايا.

فإشعياى النبى نظر إلى أورشلیم قبل السبى؁ فوجد جمیع رؤسائها أسرى الخطیة؁ وفى حالة خوف ورعب "یهربون ولا طارد لهم" فروا من بعيد. لقد وقعوا وانكسروا مغلوبین من الشهوات والنجاسات والذنس؁ والظلم وعدم المحبة. لقد سقطوا صرعى الخطیة التى طرحت كثیرین جرحى وكل قتلها أقوىاء.

دموع الأنبیاء :

ما من أحد من عبید الله الأنبیاء تمر أمامه صورة هذا الشعب إلاً وتصیر له دموعه خبزاً نهاراً ولیلأً.

اسمع إرمیا النبى یقول: "یا لیت رأسى ماء؁ وعینى ینبوع دموع فأبکی نهاراً ولیلأً قتلى بنت شعبى" (إر ٩ : ١).

وها إشعیاى النبى یقتبس كلمات آیوب المجرّب فیقول: "اقتصروا عنى فأبکی بمرارة؁ لا تلحوا بتعزیتى عن خراب بنت شعبى".

ألیست هذه هی دموع رب المجد یسوع وهو منحدر من جبل الزيتون... حیما رأى أورشلیم غارقة فى لبح الخطیة... "نظر إلى المدینة وبكى علیها" (لو ١٩ : ٤١).

إن كل من صار خادماً لیسوع المسیح؁ لا یستطیع أن یضبط قوة أمام منظر النفوس الخاطئة عندما تتماذى فى الشر ویرى الخادم فیها بعین النبوة الشیطان وقد أحرق بهذه النفوس بمترسة لیهدمها حتى لا یبقى حجر على حجر.

٥. "إن للسید رب الجنود فى وادی الرؤیا یوم شغبٍ ودوسٍ وارتباكٍ. نَقْبُ سُورٍ وَصُراخٍ إِلَى الجَبَلِ.

٦. فَعِیلامٌ قد حَمَلَتِ الجَعْبَةَ بِمَرَكَبَاتِ رِجالِ فُرسانِ؁ وَقِیرٌ قد كَشَفَتِ المِجَنَّ.

٧. فَتكونُ أَفضَلُ أودیتكِ مألانةً مَرَكَبَاتِ؁ والفُرسانُ تُصَطَفُ اصْطِفاءً نحو الباب.

٨. ويكشفُ سِتْرَ يَهُودَا، فتنظُرُ في ذلك اليوم إلى أسلحة بيت
الوَعْر."

ترى ما هو سبب كل هذه البلايا من شغب ودوس وصراخ وارتباك وحية؟ وما
هو سبب انكسار يهوذا أمام أعدائه ومعاناته المذلة والعار؟
هل هو في قوة الأعداء وشدة رجال الحرب؟
هل هو في عدد فرسان العدو وكثرة مركباته؟
كلا بالحقيقة... إن السبب الرئيسي والوحيد لانكسار يهوذا كما تكشفه هذه
النبوات هو في "كشف ستر يهوذا".

فيهوذا أصلاً يعيش في ستر العلي "الساكن في ستر العلي في ظل الإله القدير
بييت". هذا هو سبب الحفظ في يهوذا والنجاة في أورشليم. كأن الرب يحوطها كما
تحوط الجبال "الجبال حولها والرب حول شعبه".

وكانت أورشليم تقول: "شماله تحت رأسي ويمينه تعانقني". وحبیب الرب يسكن
لديه آمناً... يستره طول النهار بين منكبيه بييت؛ وداود النبي هو ملك أورشليم اختبر
هذا جيداً وقال في المزامير: "أأسكن في مسكنك... واستظل بستر جناحيك"
(مز ٦٠)، "في يوم شدتي سترني بستر مظلته" (مز ٢٦).

وهنا يصير كشف الستر تعبيراً عن تخلي النعمة ومفارقة روح الرب وهذا هو
النزول إلى حضيض الانكسار والهوان.

ولكن هل يؤول هذا إلى خلاص؟ عندما تجد أورشليم نفسها عارية من ثوب
النعمة، ومن ستر القدير وظل جناحيه؟ هل تعود فتطلب أن تحتمي فيه وتدخل تحت
ظل جناحي صليبه؟

يا للأسف فإنها بدلاً من أن تفعل ذلك وتلتفت إلى إلهها بدأت تلجأ إلى تأمين
نفسها ولم شمل قواتها ومصادر الماء وتحصين الأسوار المادية البحتة...

٩. "ورأيتم شقوقَ مدينة داود أنها صارت كثيرة، وجمعتُم مياه البركة
السُّفلى.

١٠. وعددتم بيوت أورشليم وهدمتم البيوت لتحصين السور.

١١. وصنعتهم خندقاً بين السورين لمياه البركة العتيقة. لكن لم تنظروا إلى صانعه، ولم تروا مُصوره من قديم".

عندما كشف ستر يهوذا، نظروا إلى أسلحة بيت الوعر (جزء من بيت سليمان) وبدأوا يرجعون ثغرات سور أورشليم ووجدوا أن فتحاته وشقوقه كثيرة. ويا ليتهم أدركوا روحياً ما قاله سليمان الحكيم في النشيد: "خذوا لنا الثعالب، الثعالب الصغار المفسدة الكروم" (نش ٢: ١٥)... التي تدخل في هذه الشقوق الكثيرة... لقد انحصروا في السطحيات في فكرهم وبصيرتهم فلم يروا غير هذه المظاهر المادية... وكان أجدى بهم أن يذكروا كلام الرب "على أسوارك يا أورشليم أقت حراساً لا يسكتون كل النهار"، "على كفي نقشتك... أسوارك أمامي دائماً".

إن الناظر إلى الأسوار المنهدمة تعوزه دائماً روح نحميا الغيور روح الصوم والصلاة والبكاء والمناداة "هلم نبني أسوار أورشليم ولا نكون بعد عاراً". وإشعيا النبي يكشف كل هذا. إن رجال يهوذا اهتموا أن ينظروا ويلاحظوا كل شيء لتأمين أورشليم ونسوا أن يعملوا شيئاً واحداً "لم ينظروا إلى صانعه، ولم يروا مصوره". ويا ليتهم نسوا كل شيء ونظروا إليه وحده، لأن جميع الذين نظروه استتاروا ووجوههم لم تخجل.

١٢. "ودعا السيد رب الجنود في ذلك اليوم إلى البكاء والنوح والقرعة والتنطق بالمسح.

١٣. فهوذا بهجة وفرح، ذبح بقر ونحر غنم، أكل لحم وشرب خمرا! لناكل ونشرب، لأننا غداً نموت.

١٤. فأعلن في أذني رب الجنود: لا يُغفرن لكم هذا الإثم حتى تموتوا، يقول السيد رب الجنود".

+ هذه مناداة أخيرة للتوبة والرجوع إلى الله. لعل الله يرجع عن حمو غضبه ويندم على الشر ويتراءف على شعبه ويشفق ولا يسلم ميراثه للعار. يا للمراحم الإلهية الصادقة، الله لا يشاء موت الخاطيء. إنه محب البشر، ولكن هل تسمع أورشليم

لصوت عريسها فترجع عن طريقها الرديئة وتطلب الرب فيوجد لها. هل تلتجئ إليه فيخلصها، أم تظل في زيغانها عنه؟

دعا السيد الرب الشعب إلى البكاء والنوح، هذا هو طريق النجاة، إن الدموع والصراخ إلى المراحم الإلهية هي ملجأ القديسين، الدموع والتوبة خلصت أهل نينوى الوثنيين ورفع الرب غضبه عنهم، دموع داود وصراخه أمام الرب خلصت الشعب من المهلك، دموع نحمايا وصراخ الشعب معه وبكاؤهم رفعت أورشليم من الخراب والمذلة، فطفقوا يقولون بروح عالية "هَلُمَّ فَنبَنِي سَورَ أُورُشَلِيمَ وَلَا نَكُونُ بَعْدَ عَارًا" (نح ٢: ١٧)، "إِلَهَ السَّمَاءِ يَعْطِينَا النِّجَاحَ، وَنَحْنُ عِبِيدُهُ نَقُومُ وَنَبْنِي" (نح ٢: ٢٠).

إن السيد الرب يدعومهم إلى "الحزن الذي بحسب مشيئة الله" ولكنهم فضلوا أن يتنعموا بالخطية ساعة، ويفرحوا فرحًا مؤقتًا، وحسبوا تنعم اليوم لذة...

إن نفوس كثيرة تسلك هذا المسلك العجيب في أمر خلاصها... فهم يلجأون إلى طرق وحيل للتغطية ومغالطة الضمير، ويدعون إلى محاولة للنسيان وعدم مواجهة النفس، وفي محاولاتهم يتفننون في أسباب الفرح والتهريج والأكل وشرب الخمر لعلهم ينسون همومهم أو يفرجون عن أنفسهم، أو لعلهم يهربون ولو بعض الوقت من الوقوف على حقيقة أمرهم...

ولكن أين يهرب الإنسان من روح الله؟ وكيف ينجو من الدينونة؟ جيد للإنسان أن يبكي هنا... ويتوب ويقرع صدره، يحزن ويكتئب، يتحول ضحكه إلى غم وفرحه العالمي إلى حزن مقدس، فيحوز رضا الله، ويفرح قلب الملائكة السمايين.

أما أن يرفض الإنسان مشورة الله، وتبكيه الروح القدس، ويمضي في طريق مسرته العالمية وعناد قلبه... فسوف يسمع في النهاية كلمات الدينونة الرهيبة: "أعلن في أذني رب الجنود لا يغفرن لكم هذا الإثم حتى تموتوا يقول رب الجنود". فإن كانت التوبة هي الباب المؤدي للحياة، فمن يغلقه بيده يحرم نفسه من الدخول. وإن كان الروح القدس يبكت على خطية وعلى بر وعلى دينونة فمن يجدف على هذا الروح فلن يغفر له لا في هذا الدهر ولا في الآتي.

وإن كان الرب فتح ذراعيه ليجذب إليه كل واحد وهو لا يشاء موت الخاطيء،
فمن يرفض أن يأتي إليه فنصيبه يكون في الظلمة الخارجية.

وإن كان الرب يريد أن يملك على أورشليم بالحق والبر والحب والصليب، فإن هي
رفضته فلا بد أن تسمع هذه الكلمة: "هوذا بيتكم يترك لكم خراباً". وهذا هو معنى عدم
الغفران حتى النهاية "حتى تموتوا" ليس لأن الله لا يريد أن يغفر حاشا بل لقساوة القلب
غير التائب فإنه يذخر لنفسه غضباً في يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة.

فأعلن في أذني...

الرب لا يفعل أمراً إلا ويُري عبيده الأنبياء ما لا بد أن يكون، لا يخفي عن
قديسيه شيئاً، لذلك أعلن الرب كلمات الدينونة هذه كمن يهمس في أذن حبيبه، هو
إعلان ولكن في سر، لأن سر الرب لخائفيه ولهم يعلن عهده.
حقاً ما أكرم مركز القديسين عنده، لقد صاروا قريبين إلى قلبه لذلك يعلن لهم
مشيئته، بل قيل أيضاً في المزمور "يصنع إرادة خائفيه".

١٥. "هكذا قال السيد رب الجنود: اذهب ادخل إلى هذا جليس

الملك، إلى شبننا الذي على البيت.

١٦. ما لك ههنا؟ ومن لك ههنا حتى نقرت لنفسك ههنا قبراً أيها

النَّاقِر في العلوِّ قَبْرَهُ، النَّاحَتِ لِنَفْسِهِ فِي الصَّخْرِ مَسْكًا.

١٧. هوذا الرب يطرحك طرْحاً يا رَجُل، وَيُعْطِيكَ تَعْطِيَةً.

١٨. يَلْفُكَ لَفٌ لِفَيْفَةٍ كَالْكُرَّةِ إِلَى أَرْضٍ وَاسِعَةِ الطَّرْفَيْنِ. هُنَاكَ تَمُوتُ،

وهناك تكون مركباتُ مجدِّك، يا خزي بيت سيِّدك.

١٩. وَأَطْرُدُكَ مِنْ مَنَصِبِكَ، وَمِنْ مَقَامِكَ يَحْطُكُ.

٢٠. ويكون في ذلك اليوم أني أدعو عبدي ألياقيم بن حلقيا.

من هو شبننا؟

+ كان شبننا "جليس الملك" رجلاً غريب الجنس، كان ناظرًا على بيت الملك

حزقيا ملك يهوذا. وربما كان أيضًا ناظرًا على الهيكل أي متوليًا الأمور الإدارية

والمالية في المملكة والهيكل على السواء. وقد تراءى له إذ حصل على هذا المركز، أنه صار ملكاً غير متوج، فتفكر في أن يجاري ملوك زمانه لتخليد ذكراه، ففكر في أن يبني لنفسه قبراً منحوتاً في الجبل، مثلما كان يفعل ملوك قدماء المصريين مثلاً.

فحوى النبوة:

وقد أرسل الرب إشعياء النبي لكي يدخل إلى بيت حزقيا الملك ويوجه رسالة توبيخ لشبنا، وكلمات نبوية قوية تنبئ بنهاية هذا الوضع الغريب في بيت الملك وبيت الله ونهاية سلطانه الزائف.

وهذه الكلمات عينها تحمل معنى نبويًا لنهاية سلطان روح الظلمة الغريب الجنس، المتسلط على المملكة والهيكل.

وتكون نهاية سلطان شبنا بأن يولي أحد غيره مكانه وسلطانه أما هو فيطرد وي طرح خارجًا.

وهذه إشارة لما قاله الرب يسوع "متى تسلح القوي يحفظ داره في أمان ولكن متى جاء مَنْ هو أقوى منه فإنه ينزع سلاحه المتكل عليه ويوزع غنائمه".

+ وقد سأل الرب شبنا بعم إشعياء قائلاً: مالك ههنا ومَنْ لك ههنا، فهو كإنسان غريب الجنس، مثل ذاك الذي وجده السيد داخل حفل العرس ولكن ليس عليه ثياب العرس، فقال له يا صاحب كيف دخلت إلى هنا؟ كيف جرؤت على دخول المقدس، بل وجدت ناظرًا على البيت؟ وقد تربعت كما على العرش وخُيِّل إليك أنك صرت ملكًا وأن مجدك ما كان ليزول أبدًا، فنقرت لنفسك قبرًا في صخر الجبل مثل الملوك العظام.

ولكن الروح يناديه قائلاً: "يا خزي بيت سيدك" لقد صار خزيًا لنفسه إذ يطرحه الرب من علوه ويطرده من مقامه ويلقيه كما تلقى الكرة بدفع شديد فينحطم ويكون رذالة وهوانًا، وليس لنفسه فقط بل يصير خزيًا لبيت سيده الملك الذي أقامه واستأمنه وهو ليس أهلاً لذلك.

تحقيق النبوة زمنيًا:

وقد تمت كلمات هذه النبوة حرفيًا، فإن حزقيا ملك يهوذا عزل شبنا وأقام بدلاً

منه ألياقيم بن حلقياء، وألبسه ثوبه وشده بمنطقته وجعل سلطانه في يده، وأعطاه مقاليد الأمور ومفاتيح البيت... (راجع ٢ مل ١٨ : ١٨، ٢٦، ٣٧؛ ١٩ : ٢).

لنتأمل جيداً كلمات النبوة أنه ليس مجرد عزل من المنصب ولكن لأن شبننا هذا يمثل رجسة الخراب متربعة في الموضع المقدس حيث لا ينبغي أن يكون، فإن الكلمات بشأن الخلاص منه كلمات مملوءة قوة وأفعال رهيبة ومخيفة: "يطرحك طرحاً، يغطيك تغطية يلفك لف لفيفة (أي يقذفك بدفع قوي) أطردك من منصبك وأحطك من مقامك".

ولم يقل إشعياء لشبننا هوذا ستأتي عليه هذه، ولم يقل له إن حزقيا الملك سيصنع بك هكذا.

ولكن هوذا الرب يطرحك طرحاً... إلخ.

لأن الرب نفسه هو صانع الخلاص وهو الذي يغار على مجده وعلى بيته وهيكله.

وعندما نتأمل كيف طرد الرب الشيطان من مسكنه، كيف سحقه، وجرده الرئاسات. حينئذ تفهم قوة كلمات النبوة على شبننا الغريب الجنس.

+ ويكون في ذلك اليوم أني أدعو عبد ألياقيم بن حلقياء.

"ألياقيم معناه مَنْ يثبتته الله" فإن كان شبننا الغريب يشير إلى المتسلط الذي سيطرحة الرب ويبيده فإن ألياقيم يشير إلى مَنْ يثبتته الله، صخر الدهور، رجاء الأمم، الذي كرسية إلى دهر الدهور.

+ ويكون يوم أن يرد الرب الملك ويطرد الدخيل غريب الجنس من بيت الملك ويسلم مقاليد الأمور إلى مختار الله وصفيه الذي يضع روحه عليه، يكون في ذلك اليوم يقول الرب..

٢١. "ألبسه ثوبك، وأشدّه بمنطقتك، وأجعلُ سلطانك في يده، فيكون

أباً لسُكَّانِ أورشليم ولبيت يهوذا.

٢٢. وأجعلُ مفتاح بيت داود على كتفيه، فيفتح وليس مَنْ يُغلق،

ويُغلق وليس مَنْ يفتح.

٢٣. وأُتْبِتَهُ وَتَدَا فِي مَوْضِعِ أَمِينٍ، وَيَكُونُ كُرْسِيَّ مَجْدٍ لِبَيْتِ أَبِيهِ".

وقد أجمل الروح الصفات التي يضطلع بها المخلص وثياب الخلاص التي لبسها الرب لأجلنا. تأمل أيضًا في تفاصيل تدابير الخلاص.

١. ألبسه ثوبك:

لقد لبس الرب القوة وتتنطق بها، وقد ناداه إشعيا كمن يستعجل زمان الخلاص قائلاً: "استيقظي استيقظي البسي عرك يا ذراع الرب"، أما عن هذا الثوب فرآه ثيابًا محمرة كدائس المعصرة. وقد تنبأ داود أيضًا قائلاً: المُرّ والميعة والسليخة من ثيابك. فهي ثياب الملك والسلطان، أرجوان وبرفير، لبسه المسيح في يوم الخلاص أمام هيرودس وبيلاطس، وهي أيضًا مِرّ وميعة الآلام من جراحات وإكليل شوك في ثوب الجسد.

٢. وأشده بمنطقتك:

لقد تمنطق الرب يسوع بمنطقة الخدام في يوم الخلاص حين اشتد بمئزرة وغسل أرجل تلاميذه في عليّة صهيون وقال لهم: أنا بينكم كالذي يخدم فهي منطقة مملكة ولكن ليست من هذا العالم. فالمسيح ملك على خاصته بالبذل والأتضاع لا بالتجبر والكبرياء.

٣. وأجعل سلطانك في يده فيكون أبًا لسكان أورشليم:

قال إشعيا في نبواته السابقة أن الرب يدعى اسمه عجيبة مشيرًا... أبًا أبدياً رئيس السلام.

فسلطان المسيح وسيادته هي سيادة الأب للبنين، إذ صار هو بكرًا بين إخوة كثيرين.

أليس هو القائل "لا أعود أسميكم عبيدًا بل سميتكم أحبائي"، "لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده، لكني سميتكم أحبائي لأنني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي".

فهو قد ساد وملك بروح الحب وروح النبوة للأب ونقل الذين اختارهم إلى هذه النعمة التي نحن فيها مقيمون.

٤. وأجعل مفتاح بيت داود على كتفه فيفتح ولا أحد يغلق...

من قال أن المفتاح يحمل على الكتف؟

إنه صليب المسيح الذي تنبأ عنه إشعياء قائلاً: "وتكون الرئاسة على كتفه" لقد حمله المسيح - كعلامة تقاوم - وحمله إلى الجلجثة، وبه فتح المسيح باب الفردوس البيت الأبدي. وأغلق باب الجحيم.

وأعطاه للرسل الأَطْهَار "أعطيك مفاتيح ملكوت السموات".

وقد قال الرب يسوع لملاك الكنيسة في سفر الرؤيا "أنا أفتح ولا أحد يغلق".

٥. وأثبتته وتدًا في موضع أمين ويكون كرسي مجد لبيت أبيه:

لقد قال الملاك جبرائيل في بشارته للعذراء "إنه يملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية".

وقال أيضًا "يعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه".

كما تنبأ زكريا الكاهن يوم ولادة يوحنا السابق قائلاً: "أقام لنا قرن خلاص في بيت داود فتاه".

هذا هو قرن الخلاص في الموضع الأمين، كرسي بيت داود الأبدي ومجده الذي لا يوصف وملكوته الذي لا يزول.

٢٤. "وَيُعَلِّقُونَ عَلَيْهِ كُلَّ مَجْدِ بَيْتِ أَبِيهِ، الْفُرُوعَ وَالْقَضْبَانَ، كُلَّ آنِيَةٍ صَغِيرَةٍ

مِنْ آنِيَةِ الطُّسُوسِ إِلَى آنِيَةِ الْقَنَانِيِّ جَمِيعًا.

٢٤. في ذلك اليوم، يقول رب الجنود، يزول الوَئْدُ الْمَثْبَتُ في موضع

أمين ويُقَطَّعُ وَيَسْقُطُ. وَيَبَادُ الثَّقَلُ الَّذِي عَلَيْهِ، لِأَنَّ الرَّبَّ قَدْ تَكَلَّمَ."

+ يعلقون عليه كل مجد بيت أبيه الفروع والقضبان (٢٤ع). هنا إبداع الروح في

التصوير، إن المخلص يصير هو محور المجد في كنيسته، وأولاد الخلاص

المختارون يصيرون كالفروع والقضبان في كرمته الحقيقية. "أنا الكرمة الحقيقية وأبي

الكرام. كل غصن فيّ لا يأتي بثمر ينزعه وكل ما يأتي بثمر ينقيه".

"أنا الكرمة وأنتم الأغصان... كما أن الغصن لا يقدر أن يصنع ثمراً من ذاته كذلك أنتم أيضاً إن لم تثبتوا فيّ".

وقد قيل عن شبننا الدخيل وغريب الجنس أنه صار خزيًا لبيت سيده أما ألياقيم (رمز الخلاص) فيقال عنه أنه يعلق عليه كل مجد بيت أبيه. وقد أعلن الإنجيل هذا الأمر بوضوح بخصوص مخلصنا، فعندما كان ابن اثنتي عشر سنة قال: "ينبغي أن أكون في ما لأبي".

وفي كل أيام تجسده وخدمة الخلاص، كان محور عمله أن يمجد الآب الذي أرسله ويظهره للعالم... حتى إذا ما بلغ وقت كمال عمله الإلهي قبل الصليب مباشرة، قال للآب: "أنا مجدت اسمك على الأرض... أنا أظهرت اسمك للناس".

+ لاحظ أيضاً أن الذين تعلقوا به ونالوا نعمة الخلاص صاروا أنية صغيرة، وأنية طسوس، وأنية قناني.

أنواع صغيرة وكبيرة، وكلها صارت أنية للكرامة بعد أن كانت أنية هوان... وهي إذ تعلقت بالمسيح، يصح أن يُقال عنها "لنا هذا الكنز في أوان خزفية ليكون فضل القوة لله لا منا".

+ أما النفوس التي تعلقت بالدخيل غريب الجنس واتكلت على الباطل واعتبرته وتدًا مثبتًا فإنه يزول رجاؤها فيقطع الوتد ويسقط ويباد كل متكل ومرتكز عليه لأن فم الرب تكلم (ع ٢٥).

الأصحاح الثالث والعشرون

١. "وحيُّ من جهة صور: ولولي يا سُفنُ تَرشيش، لأنها خَرَبَت حتى ليس بيتٌ حتى ليس مدخلٌ. من أرضِ كَتِيمَ أعلن لهم.
٢. اندهشوا يا سَكَّانَ السَّاحِلِ. تُجَارُ صَيِّدُونَ العَابِرُونَ البَحْرَ مَلَأوكِ.
٣. وغلَّتْهَا، زرعُ شِيحُور، حِصَادُ النَيْلِ، على مِيَاهِ كَثِيرَةٍ فَصَارَتْ مَتَجَرَةً لَأُمَّم.
٤. اخجلي يا صَيِّدُونَ لأنَّ البَحْرَ، حِصْنَ البَحْرِ، نَطَقَ قَائِلًا: لِمَ أتمخَّضُ ولا وَاَدَّتْ ولا رَبَّيْتُ شَبَابًا ولا نَشَأْتُ عِذَارِي.
٥. عند وصول الخبر إلى مصر، يتوجَّعون، عند وصول خَبَرِ صُور.
٦. أُعْبِرُوا إِلَيَّ تَرشيش. ولولوا يا سَكَّانَ السَّاحِلِ.
٧. أهذه لكم المُمْتَخِرَةَ الَّتِي منذ الأَيَّامِ القَدِيمَةِ قَدَمَهَا؟ تَنقُلُهَا رَجُلَاهَا بَعِيدًا لِلتَّغْرُبِ.
٨. مَن قَضَى بِهَذَا على صُورِ المَتَوَجِّعَةِ الَّتِي تُجَارُهَا رُؤْسَاءُ؟ مَتَسَبِّبُوهَا مَوْقِرُوا الأَرْضِ.
٩. رب الجنود قضى به لِيُدْنَسَ كِبْرِيَاءُ كُلِّ مَجْدٍ، وَيَهِينُ كُلِّ مَوْقِرِي الأَرْضِ".

هذا الوحي من جهة صور وصيدا، كإعلان إلهي وحكم للدينونة من جرئ الخطايا الكثيرة التي غرقت فيها...

أرض كتيم: يظن أنها جزيرة قبرص، وهذا معناه أن أخبار عقاب صور وصيدا وخرابها سيسمع من على بعد. أي يسمعه التجار وهم بعد في عرض البحر. فقبل أن يصلوا ميناء صور أو صيدون يعلن لهم خرابها وما قضى به رب الجنود عليها. ولا شك أن لكلمات الدينونة والقضاء وقع مخيف ومرعب لا سيما إذا كانت لبلاد كهذه سكرى من فرط ما شربت من خمر الزنى والشهوات.

+ والروح يشير بوضوح شديد إلى المظاهر العالمية التي عاشت فيها صور وصيدون والمباهج الكاذبة التي جذبت أنظار الناس من بعيد.

لقد عاشت تتغذى على الافتخار الباطل... وكانت تجارتها الظاهرة من بضائع

هذه الدنيا الكاذبة وتجارته الباطلة في الشهوات والملاهي والزيغان عن الله.
وهكذا جمعت لنفسها غنى من الربح القبيح واكتسبت اسمًا وشهرة وصيتًا عالميًا،
سريعًا ما يزول ويتغير.

+ الروح هنا يسميها المفتخرة، التي منذ الأيام القديمة تجارها رؤساء ومتسببها
موقورو الأرض. وكل افتخار كاذب مثل هذا رديء كما يقول الرسول إنه افتخار
بالأباطيل واتكال على الغنى غير اليقيني، في لحظة من الزمان يفنى جمال منظره إذا
ما هبت عليه نفخة القدير. أما تجارها فرؤساء ومتسببها موقرو الأرض ولكن ليس
لهم مدح أمام الله.. وليس مَنْ يمدحه الناس هو المزكى بل الذي مدحه من الله.
لقد أخذوا مجد الناس، وكان هو كل رصيدهم... أما رضى الله عنهم فلم يدخل
في حسابهم.

صور وصيدون:

قال ربنا يسوع المسيح للمدن التي صنع فيها أكثر قواته ولم تتب، لو صنعت في
صور وصيدا القوات التي صنعت فيكم لتابتا قديمًا جالستين في المسموح والرماد.
ولكن صور وصيدا سيكون لهما في يوم الدين حالة أكثر احتمالاً مما لكما (لو ١٠:
١٤).

يا ليت كلمات ربنا يكون لها في قلوبنا قبولاً وفهمًا كلما قرأنا في القديم قصص
دينونة شعوب وقبائل وكلما رأينا مجد العالم يتبدل إلى هوان وعظمة العالم وافتخاره
وغناه وشهواته تكابد عقابًا هذا مقدره.

لقد التمس الرب لصور وصيدا عذرًا أنه لم تصنع فيهما قوات وآيات الرب، فأمم
كثيرة من الشعوب الأممية والوثنية كانت تسارع إلى التوبة إذا أرسل الرب لها كارزًا
مثل مدينة نينوى.

ولكن ماذا يقال عن الذين ولدوا في النعمة واستتبروا مرة وقبلوا مواهب الروح
وذاقوا عطاياه الصالحة. ورأوا أعمال الله وآياته تصنع أمام عيونهم ورغم كل
الإحسانات لم يصنعوا أثمارًا تليق بالتوبة ولكنهم زاغوا وراء الجسد ونسوا إحسانات
الله.

ماذا يكون بعد إحسانات الله الكثيرة هذه إلا قبول دينونة مخيفة ونار عتيدة تحرق المخالفين. لذلك فإن درس دينونة صور وصيدا، يصير دافعاً للتوبة والرجوع إلى الله والتمتع ببركات الحياة في حضرته.

"مَنْ قَضَى بِهَذَا عَلَى صُورِ الْمُنَوَّجَةِ الَّتِي تُجَارَهَا رُؤَسَاءُ؟ مَتَسَبِّبُوهَا مَوْقَرًا
الْأَرْضِ".

رُبَّ سَائِلٍ يَسْأَلُ هَذَا السُّؤَالَ، فَيَجَابُ أَنَّ رَبَّ الْجَنُودِ هُوَ الَّذِي قَضَى بِهِ، وَهَذَا مَا
عَنَاهُ عَامُوسُ النَّبِيُّ حِينَ قَالَ: "هَلْ تَحْدُثُ بَلِيَّةٌ فِي مَدِينَةِ وَالرَّبِّ لَمْ يَصْنَعْهَا؟"
(عا ٣: ٦).

ولكن ما سبب كل هذا؟

الجواب هو أن الخطية وراء كل خراب...

وما هو أساس الخطية؟ هو الكبرياء والمجد الباطل.

هذه هي أفكار الله في معاملته ورحمته ودينونته العادلة. وطالما غاب عن
الإنسان أصل الداء، ونسب الكوارث والعقاب والدينونة لأسباب كثيرة وعلل وقوعها
بتعليلات كثيرة ابتعدت كثيرًا عن الصواب، ونسى أن الخطية الكامنة هي الفساد بعينه
وأن البر يرفع شأن الأمة وعار الشعوب الخطية.

لذلك أعلن النبي عن فكر الله قائلاً: إنه قضى بهذا "لِيُدَيْسَ كِبْرِيَاءُ كُلِّ مَجْدٍ،
وَيَهِينُ مَوْقَرِي الْأَرْضِ" (ع ٩).

إن طبيعة الله "وديع ومتواضع القلب". بينما قيل عن عدو الخير إنه ملك على
كل بني الكبرياء وهذه هي علة السقوط...

لذلك قيل أيضًا إن الله يقاوم المستكبرين أما المتواضعين فيعطيهم نعمة. وقيل
أيضًا في دانيال "إن مَنْ يَسْلُكُ بِالْكَبْرِيَاءِ فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَذْلَهُ".

وهذا هو معنى أنه يدنس كبرياء كل مجد...

أن يخفض الرؤوس المتشامخة إلى التراب.. ويحط تعالي الإنسان إلى الأرض.

١٠. "اجتازي أرضك كالنيل يا بنت ترشيش. ليس حصرٌ في ما بعد.

١١. مدَّ يده على البحر. أرعد ممالك. أمر الرب من جهة كنعان أن

تُخرب حُصونها.

١٢. وقال: لا تعودين تفتخرين أيضاً أيتها المنهكة، العذراء بنت صيدون.

قومي إلى كتيم. اعبري. هناك أيضاً لراحة لك".

+ كمثّل تدفق النيل إلى مياه البحر هكذا سيطرد الرب شعب صور وصيدون ويقذف بهم إلى خارج... لا يدوم وجودهم فيها بل يصيرون بلا قوة وبلا قدرة يجرفهم الخوف والارتياح كتيار النيل الجارف.

والرب يضع أمام صور وصيدا خبرات الشعوب السابقة أليست ذراع دينونة الله هي التي أنشفت البحر الأحمر حينما تمجد الله بفرعون مصر وكل جنوده... حينما رتل موسى وكل بني إسرائيل لذراع الرب القوية "يمينك يارب معتزة بالقدرة. يمينك يا رب تحطم العدو" (خر ١٥: ٦).

يمد الرب يمينه أولاً داعياً للتوبة والرجوع "بسطت يدي طول النهار" ولكن العيون ثققل دون رؤيتها والقلوب تنقسي بالرفض والأذان تثقل عن السماع وعن تصديق صوته المنادي كل أحد حتى أن إشعيا صرخ في موضع آخر "يارب مَنْ صدق خبرنا ولمن استعلنت ذراع الرب".

بعد ذلك يمد الرب يمينه للدينونة والعتاب، يردد بها وبروح فيه فتعج المياه وتجيش وترتعب الجبال من عزته وتذوب الجبال من وجه الرب كالشمع.

لقد صنع الرب هكذا بممالك كثيرة وشعوب امتلاً كأس غضب الرب من نحوها... ولكن هل صار هذا سبب توبة ورجوع لمن حولها من الأمم؟ هل أفاق من خمر زناها؟ هل غيرت طريقها ورجعت عن شرها؟ لا بل تمادت صور وصيدون إلى النهاية وإذا لم تصر لها دينونة الآخرين عبرة استحقت هي الأخرى أن تدان بدينونة وعقاب أشر.

إن أقرب البلاد إلى صور هي قبرص (كتيم) فإن فكر الشعب في الهروب من الغضب الآتي والدينونة. إلى أرض كتيم فإنه لا راحة لهم هناك قال الرب. إلى أين أهرب من روحك وإلى أين أذهب من وجهك؟ إن صعدت إلى السماء فأنت هناك وإن هبطت إلى الجحيم فأنت هناك أيضاً هكذا قال المرتل.

إن الراحة لا توجد في تغيير المكان!! هذا أمر مستحيل لأن الراحة الحقيقية كائنة في تغيير القلب بالتوبة والرجوع إلى الله مريح المتعبين "تعالوا إلي يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم" هكذا قال مخلصنا.

١٣. "هوذا أرض الكلدانيين. هذا الشعب لم يكن. أسسها أشور لأهل البرية. قد أقاموا أبراجهم. دمروا قصورها. جعلها ردمًا.

١٤. ولولي يا سفن ترشيش لأن حصنك قد أُخرب".

الآن يحول الرب أعين صور وصيدون نحو أرض الكلدانيين وكيف تحولت قصورها إلى ردم ودمرت أبراجها بواسطة ملك أشور. كأن الرب يضع درس الدينونة للأرض المجاورة كمثال للعتيدين أن يُدانوا... ما أكثر جودك يا رب. إن سدوم وعمورة كما يقول الرسول حكم عليهما بالخسف وجعلهما عبرة للعتيدين أن يفجروا... وقيل أيضًا انظروا امرأة لوط.

لذلك يناديها قائلاً: ولولي يا سفن ترشيش الحاملة البضائع المروجة التجارة النجسة... لأن أيام الحكم قد أتت وكأس غضب الله قد إمتلأ ويده ارتفعت ليطلب ويحاسب.

١٥. "ويكون في ذلك اليوم أن صور تُنسى سبعين سنة كأيام ملك واحد. من بعد سبعين سنة يكون لصور كأغنية الزانية.

١٦. خُذي عودًا. طوفي في المدينة أيتها الزانية المنسية. أحسنني العزف، أكثر الغناء لكي تُذكرِي.

١٧. ويكون من بعد سبعين سنة أن الرب يتعهد صور فتعود إلى أجزتها، وتزني مع كل ممالك البلاد على وجه الأرض.

١٨. وتكون تجارتها وأجزتها قدسًا للرب. لا تُحزن ولا تُكفر، بل تكون تجارتها للمقيمين أمام الرب، لأكل إلى الشعب ولللباس فاخر".

+ تتبأ إرميا النبي عن هذه السبعين سنة بخصوص إسرائيل أنها ستكون في سبي بابل مدة سبعين سنة (إرميا ٢٩: ١٠) وتتبأ أيضًا بخصوص البلاد المجاورة

أنها ستخدم ملك بابل مدة سبعين سنة.

ويقصد بالملك في هذه النبوة نبوخذنصر الملك... هذا الذي طرد من بين الناس ونسى مجده وابتل بندى السماء مدة سبع سنين كما فسر له دانيال.

ولكن ما أبدع ربط الأمم بإسرائيل في العقاب ومكابدة نفس المصاعب والشرب من ذات الكأس... حقًا لقد أغلق على الكل تحت الخطية...

لقد خاطب الرب أورشليم في بداية نبوات إشعيا قائلاً: "كيف صارت القرية الأمانة زانية"... واليوم يخاطب صور أيضًا قائلاً: "طوفي في المدينة أيتها الزانية المنسية".

قال الرسول بولس: "شدة وضيق على كل نفس إنسان يفعل الشر اليهودي أولاً ثم اليوناني" وقال أيضًا: "لأننا شكونا أن اليهود واليونانيين أجمعين تحت الخطية". فمن جهة الزيغان عن الله والجري وراء آخر حسبت جميع الأمم والممالك كزانية في تعديها. على الله وعدم الالتصاق به أو حفظ وصاياه.

وقد مثل الرب ذلك مرارًا كثيرة. ولكن عندما افتقد الرب العالم وطلب الخروف الضال بتجسده وسعيه وراء الإنسان ليخلصه... شبه ذلك في النبوات كمثل مَنْ يحب امرأة زانية صاحبة صاحب (انظر هوشع النبي أصحاب ٣ في أوضح صورة لهذا المعنى).

والرب ينادي صور كأقرب الأمم - يدعوها أن تأخذ عودًا ومزمارًا وتدخل إلى مدينة الملك العظيم وتكثر الغناء وتحسن العزف في زمان افتقادها حين يذكرها الرب ويضمها إلى ميراثه.

لقد شاركت صور قديمًا في بناء الهيكل... وكان حيرام ملك صور محبًا لداود ملك إسرائيل الطو وطلب عمال صور وصيرون خشبًا ومدوا أيديهم واشتركوا مع إسرائيل. هذا كله حدث في شبه السماويات وظلها.

أما في زمان الافتقاد... حيث الهيكل غير المصنوع بيد... هيكل جسد المسيح الذي هو الكنيسة.

وعندما ملك ابن داود الذي أقام خيمة داود الساقطة رأينا ممثلة صور المرأة الكنعانية تغتصب الملكوت وتأخذ من خبز البنين ويقول لها الرب يسوع "عظيم هو

إيمانك ِ ويشهد أنه ولا في إسرائيل إيمان مثل هذا".

إذًا كما قضى على إسرائيل سنين سبي ومذلة قضى أيضًا على صور وكما افتقد الرب إسرائيل ليصنع خلاصًا هكذا أشرق على كل الجالسين في الظلمة وظلال الموت. وكما أهان الزمان الأول أهل زبولون وأهل نفتالي يكرم الزمان الأخير جليل الأمم والشعب السالك في الظلمة.

وفي زمان الافتقاد تسمع صوت المزمار والعزف والتسبيح والفرح في المدينة أي في الكنيسة في الأرض وفي السماء كما رآها يوحنا الحبيب في سفر الرؤيا "لهم كل واحد قيثارات الله وهم يترنمون كترنيمة جديدة".

ويكون أيضًا في زمان الافتقاد والخلاص (أي زمان المسيا) أن تتحول تجارتها وأجرتها إلى قدس للرب فبعد أن كانت للزنى والنجاسة والجسد والتراب والعالم والشيطان... تتكسر كل الطاقات لخدمة المسيح وبعد أن كانت تزن فضتها لغير شبع وبعد أن كانت تشرب من ماء العالم وتعطش أيضًا... يقول الرب إنه يكون "لأكل إلى الشبع ولللباس الفاخر" للقائمين أمام الرب في قدسه".

وهذا هو ميراث الرجوع وعربون الخلاص.

الأكل من المن المخفي... خبز الحياة... جسد المسيح... مَنْ يأكل منه لا يجوع.. بل بحسب كلام المسيح مَنْ يأكل من هذا الخبز يحيا إلى الأبد.
أما اللباس الفاخر فهو لباس المعمودية،... ثياب العرس... الثياب البيض المبيضة في دم المسيح.

وباختصار فإن الأكل للشبع هو جسد المسيح واللباس الفاخر هو الرب يسوع "البسوا الرب يسوع"، "أنتم الذين اعتمدتم للمسيح قد لبستم المسيح".
هذا هو التمتع بالخلاص لأن المسيح يسوع هو غاية النبوات وشهادة يسوع المسيح هي روح النبوة.

الأصاح الرابع والعشرون

١. "هوذا الرب يُخلي الأرض ويفرغها ويقلب وجهها ويبدد سُكَّانها.
٢. وكما يكون الشعب هكذا الكاهن. كما العبد هكذا سيده. كما الأمة هكذا سيدتها. كما الشَّاري هكذا البائع. كما المُقرض هكذا المُقترض. وكما الدَّائن هكذا المديون."

مقدمة:

ينتقل إشعياء النبي بداية من الأصاح الرابع والعشرون وحتى السابع والعشرين من النبوات الخاصة بإسرائيل ويهوذا... ثم ما يخص الشعوب والأمم المحيطة بهم... ينتقل إلى نبوات عمومية تخص الأرض كلها عند كمال الأزمنة... أي أنه يخرج من الجزئيات إلى الكلّيات ومن التخصص في الحديث عن عينات من شعوب الأرض إلى الحديث عن شعوب الأرض كلها... وفي ثنايا الحديث تظهر بشرى الخلاص يوجهها وينادي بها إلى الأرض كلها... وعن المفديين المختارين المعينين يظهر بجلاء عظيم خلال الكلمات النبوية ما ادخره الرب للذين كتبوا للحياة من فرح وترنم وسرور وميراث أبدي لا يضمحل.

تبدأ النبوات عن دينونة الأرض بإظهار أن الخطية ضربت جذورها في الأرض كلها. وأمام الدينونة العامة الجميع تحت الحكم سواء... الكاهن والنبي والشيخ والحكيم والعبد والسيد والشاري والبائع... أغلق على الكل تحت الخطية.. واستحق الجميع حكم الموت.

ولكن النبوات تأخذ معنى غاية في الإبداع... إن الرب يخلي الأرض ويفرغها... وكأن الرب يعيد صياغتها من جديد... يعيد خلقها خليفة جديدة.

في بداية الخليقة الأولى كانت الأرض خربة وخالية، وعلى وجه الأرض ظلمة ثم أكمل الله الخليقة بالكلمة من هذا الخراب الموحش. وعندما دخلت الخطية إلى العالم صارت الخليقة كلها تئن وتتوجع وهي واقعة فريسة للهلاك... وعندما كمل زمان الخطية وجاء وقت دينونتها والحكم عليها... قيل إن الرب يفرغ الأرض ويقلب وجهها ليعيد خلقها كما من البداية.

وكما كان في أيام نوح حين غرق العالم كله في الشهوات استحق أن يكابد دينونة الطوفان وغرق جميع الناس الذين كانوا على وجه الأرض. وأفرغ الرب الأرض من سكانها... ومن نوح البار جدد الرب الخليقة بعد أن استبقاه بالفلك الذي هو مثال المعمودية كقول بطرس الرسول.

٣. "تفرغ الأرض إفراغاً وئنهبُ نهباً، لأن الرب قد تكلم بهذا القول.

٤. ناحت ذُبلت الأرضُ. حَزَنَت ذُبلت المَسْكُونَةُ. حَزَنَ مرتفعو شعب الأرض.

٥. والأرضُ تدنست تحت سُكَّانها لأنهم تعدوا الشرائع، غيَّروا الفريضة، نكثوا العهد الأبدي".

هنا تشير النبوة إلى أن الأرض نفسها قد تدنست تحت سكانها أي أن ظل الخطية وقع حتى على الأرض. كما يشهد القديس بولس الرسول أن الخليقة كلها تنن وتمخض معاً. وقد ظهر هذا واضحاً منذ أن دخلت الخطية فقد صارت الأرض تنبت حسكاً وشوكاً... وقد لعنت الأرض حتى فتحت فاهها وقبلت دم هايبيل الصديق... ومنذ ذلك الحين والأرض تتدنس بخطايا الإنسان وتشهد بانحرافاته... حتى أشهدها الرب على الإنسان قائلاً: "أصغي أيتها الأرض...". (إش ١).

وقد أوضح الرب السبب بقوله لأنهم تعدوا الشرائع، وغيروا الفريضة. نكثوا العهد الأبدي.

فالناموس يشهد بجلاء أنه لم يحفظ كلماته ولا واحد. والفرائض والأحكام أظهرت عجز الإنسان المطلق عن تحقيق الكمال والعهد الأول في الذبائح الدموية والكهنوت اللاوي نكثوه ولم يحفظوه.

وهنا يجدر بنا أن نسمع قول الوحي الإلهي بغم بولس الرسول "هوذا أيام تأتي يقول الرب حين أكمل مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً. لا كالعهد الذي عملته مع آبائهم يوم أمسكت بيدهم لأخرجهم من أرض مصر. لأنهم لم يثبتوا في عهدي وأنا أهملتهم يقول الرب. لأن هذا هو العهد الذي أعهده مع بيت إسرائيل بعد

تلك الأيام يقول الرب أجعل نواميسي في أذهانهم وأكتبها على قلوبهم... لأنني أكون صفوًا عن آثامهم ولا أذكر خطاياهم... فإذا قال جديدًا عتق الأول وأما ما عتق وشاخ فهو قريب من الإضمحلال" (عب ٨).

وهذا يشرح بجلاء تدبير الله من جهة الإنسان بعد أن دنس الأرض ونقض العهد وكسر الناموس. قد حول الرب العقوبة خلاصًا. وبدل الموت والدينونة بالغفران والحياة إلى الأبد... بالعهد الجديد لا من جهة الإنسان بل بدم المسيح الذي بروح أزلي يظهر الضمائر ويجدد الخليقة كلها.

تدنست الأرض تحت سكانها:

بإنسان دخل الموت إلى العالم وتدنست من بعده الأرض تحت سكانها... ترى مَنْ يرفع اللعنة. وكيف تتقدس الأرض؟ عندما وطئت قدما القدوس الذي بلا خطية... أرض الشقاء... تقدست وغسلت لعنتها.

عندما نزل الله كنار مشتعلة في عليقة رمزًا لتجسده الطاهر. وقال لموسى رأيت عيانًا مذلة شعبي... ونزلت لأخلصهم... في ذلك الوقت قيل لموسى اخلع نعليك لأن الأرض التي أنت واقف عليها أرض مقدسة... تقدست الأرض بنزول ابن الله إليها حتى إلى جوف القبر... وحول المسيح العقوبة خلاصًا وبدل الموت إلى قيامة واللعنة إلى بركة أبدية.

٦. "لذلك لعنة أكلت الأرض وعُوقبَ السَّاكنون فيها. لذلك احترق

سُكَّان الأرض وبقيَ أناسٌ قلائل.

٧. ناح المسطار، ذُبَلت الكرمة، أن كل مسروري القلوب.

٨. بطل فرح الدُّفوف، انقطع صَّجيج المُبتَهجين، بطل فرح العُود.

٩. لا يشربون خمرًا بالغناء. يكون المُسكر مرًا لشاربيه.

١٠. دُمَّرت قرية الخراب. أُغلقَ كل بيتٍ عن الدُّخول.

١١. صُراخٌ على الخمر في الأزقة. غَرَب كل فرح. انتفى سُرور الأرض.

١٢. الباقي في المدينة خراب، وضُرب الباب ردماً.

١٣. إنه هكذا يكون في وَسَطِ الأرضِ بينِ الشُّعُوبِ كُنُفَاضَةَ زَيْتُونَةٍ،
كَالْخُصَّاصَةِ إِذْ انْتَهَى الْقِطَافُ".

ونحن هنا أمام دينونة الأرض كلها... فالكلمات كلها عقاب وأنين ونوح وبكاء ودمار... وقد شملت الدينونة كل أحد أتت اللعنة على كل شيء.
ونستطيع أن نخلص إلى أمور مفيدة للتأمل نافعة للحياة:

١. انصبت الدينونة بالأكثر على المنغمسين في أفراح هذا العالم الزائل
"أَنَّ كُلَّ مَسْرُورِي الْقُلُوبِ". وتحولت أفراحهم إلى حزن لأن فرح العالم إلى
حين... وهنا يجدر بنا أن نحزن طالما هناك زمان للتوبة... طوبى للحزاني
لأنهم يتعزون... وكما قال ربنا "ويل لكم أيها الضاحكون الآن لأنكم تحزنون وتبكون".

٢. اختص الروح بصفة خاصة الخمر، والمسكر، والكرمة التي تشير روحياً إلى
السكر بخمار هذا العالم والتلهي عن خلاص النفس والانزلاق في الاستهتار والخلاعة
وغياب الإنسان عن وعيه الروحي وإدراك نهاية العالم وكونه باطل الأباطيل...

يصير المسكر مرّاً لشاربيه... ناح المسطار... ذبلت الكرمة. فإن كان هذا هو
قضاء الخمر والمسكر ونهاية حتمية للذين سقطوا في هذا الشرك.

فعندنا الوصايا الإلهية "لا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة بل امتثلوا من
الروح"... لقد صار الخمر مرّاً لشاربيه. لم يعد بعد الخمر الذي يفرح قلب الإنسان...
انقلبت النشوة إلى مرارة، انقطع ضجيج المبتهجين... بطل فرح
العود.

وفي سفر التثنية إشارة عجيبة لكون الخمر يكون مرّاً لشاربيه... "لأن من جفنه
سدوم جفنتهم ومن كروم عمورة... عنبهم عنب سم ولهم عناقيد مرارة". إن الخمر
الذي يشربونها هي نتاج كرمهم... ثمر أفعالهم الأثيمة... أفعال سدوم وعمورة في
الزنا والفجور... وأي مرارة رهيبة تكون في ثمر الخطية التي هي
سم الحية القديمة. ألم ينقلب شرب الخمر مرّاً لبيلاشاصر بن نبوخذنصر وهو غارق
في شهواته عندما ظهرت طرف اليد وكتبت على مكلس الحائط "منا منا تقيل
وفرسين"، وقد فسّر له دانيال النبي من قبل الرب الكتابة "أحصى الله ملكك وأنهاه".
وفي تلك الليلة قتل بيلشاصر، وتحول شرب الخمر إلى مرارة نفس حتى الموت

(دانيال ٥ : ٥).

ثم أظهر الرب حبه للبشرية أطيب من الخمر... وقدم الرب كأسه لأحبائه "كأسك روتني". وصار خمر العهد الجديد براً وقداسة وفرح في الروح لا ينتهي إلى كل الدهور.

٣. من مراحم الرب أنه ما من مرة ينطق الروح بكلمات الدينونة والعقاب إلاً ويجعل باباً للنجاة وشعاعاً للرجاء ومنفذاً للخلاص. "وبقي أناس قلائل".

فللرب بقية في كل زمان ومكان ومن أجلها يتحنن الرب ويتراءف وفي زمان الدينونة الأخير يقول ربنا "ولو لم يُقصر الرب تلك الأيام لم يخلص جسد. ولكن لأجل المختارين... قصر الأيام" (مر ١٣ : ٢٠).

٤. يكونون بين الشعوب كنفاضة زيتونة كالخصاصة إذا انتهى القصاص... إنه زمن دينونة وحصاد وزمن طلب الثمار وفرز الجياد من الأردياء، والقمح من التبن وأولاد الله من أولاد العالم.

البعض عن اليمين لميراث الملكوت المُعد والآخر عن الشمال للعذاب الأبدي.

+ بشارة الخلاص ومجد الرب في دينونة الأرض:

متى جاء يوم الدينونة على الأرض وجميع السكان فيها، يتمجد الرب بمجد عظيم في سحق الخطية ودينونة الأشرار ويتعالى بره والذين أهانوا الرب ورفضوه يكون هذا اليوم لخزيهم. الذين قبلوه فقد جاء زمان نجاتهم حين يتحول حزنهم إلى فرح على هذا النحو كان مجيء ربنا في تجسده... أدان الخطية في الجسد... وحكم على الموت بموته وتمجد بقيامته وخزي الذين رفضوه ملكاً عليهم وتمجد الذين قبلوه رباً وفادياً ومخلصاً.

وهكذا يكون أيضاً في مجيئه الثاني المخوف والمملوء مجداً حين "يقولون للجبال اسقطي علينا وللآكام غطينا" (رؤ ٦). بينما يتهلل الأبرار بالفرح "يدخلون إلى العرس الأبدي".

وهذا ما تنبأ عنه إشعياء النبي في الأعداد من ١٤-٢٣.

١٤. "هُم يَرْفَعُونَ أَصْوَاتَهُمْ وَيَتَرَنَّمُونَ. لِأَجْلِ عِظْمَةِ الرَّبِّ يُصَوِّتُونَ
من البحر.

١٥. لذلك في المشارق مجدوا الرب. في جزائر البحر مجدوا اسم الرب
إله إسرائيل.

١٦. من أطراف الأرض سمعنا ترنيمةً: مجدًا للبار. فقلت: يا تَلْفِي،
يا تَلْفِي! ويل لي! النَّاهِبُونَ نهبوا. النَّاهِبُونَ نهبوا نهبًا".

فبينما (عدد ١٣) يصف الأرض كلها كزيتونة نفضت أوراقها وجمعت ثمارها
فوقفت هكذا عريانة من كل شيء... نجد إشراق الخلاص ينبع كما في وسط القفر.
فينتقل إلى الحديث عن الذين يرفعون أصواتهم ويترنمون لأجل عظمة الرب... ترى
مَنْ هؤلاء؟

الذين كانوا ينتظرون إشراق شمس البر كقول ملاخي (ملا ٤: ٢) عندما
يبصرون الرب في عظمته ومجده. يترنمون ترنيمة الخلاص... ترنيمة موسى
عبد الرب... وهي ذات الترنيمة التي سيترنم بها المفديون إلى أبد الأبد في السماء
(رؤ ١٥).

"يصوتون من البحر"... لم تسمع أصواتهم ولكن إلى أقصى الأرض بلغ
منطقهم... كرازتهم بالمسيح كانت أنشودة جميلة... خبر مفرح.... بشارة سارة...
إنجيل خلاص. لذلك قال النبي "من أطراف الأرض سمعنا ترنيمة مجدًا للبار" أي أن
الكراسة بالإنجيل تبلغ أطراف الأرض... ولا يوجد مكان مهما كان في أطراف الأرض
إلا وتشرق عليه أنوار البشارة ورجاء الخلاص... مجدًا للمسيح الذي خلص عبده.
كقول الرب أيضًا: "يكزز ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الأمم"
(مت ٢٤: ١٤).

ويزيد إشعيا النبي أيضًا أن بزوغ النور الإلهي يكون من المشارق كمثل
إشراق الشمس هكذا يكون "من المشارق مجدوا الرب" فالمجوس الذين من المشرق رأوا
نجمة في المشرق ورأوا مجده وسعوا للسجود له. وعندما أكمل الرب تدبير الخلاص
صعد إلى السموات نحو المشرق. وعندما نتطلع في صلواتنا نحو المشرق نمجد

وننتظر ظهوره الثاني من المشرق حين يأتي في مجده وجميع الملائكة القديسين معه ليدين العالم.

+ وعلى عكس ذلك تمامًا كما كان ظهور الرب لمجد محبيه يكون خزيًا لرافضيه.

١٧. "عليك رُعبٌ وحُفْرَةٌ وفَخٌّ يا ساكنِ الأرضِ."

لقد طرح إبليس كما رآه القديس يوحنا الحبيب في رؤيا إلى الأرض (رؤ ١٢ : ٩). وقيل حينئذٍ ذلك ويل للأرض وللساكنين فيها... لذلك يدعو إشعيا ساكن الأرض. وقد كان مجيء ربنا متجسدًا إلى العالم ودينونة الخطية على الصليب رُعبًا وحفرة وفخًا للشيطان.

فأنت ترى من اللحظات الأولى التي وطئت فيها قدمنا أرض الشقاء... والشيطان وكل قواته وجنوده قد اعتراهم خوف ورعدة شديدة. فهيرودس اضطرب وجميع أورشليم معه... وقام وقتل الأطفال. والشياطين لما رأَت المسيح فرت هاربة وكانت تصرخ وتقول لما أتيت قبل الوقت... ورؤساء الكهنة صاروا في خوف وفزع على مراكزهم إذ رأوا أن العالم كله ذهب وراءه... هكذا كان الشيطان حتى الصليب في خوف ورعب... ثم ماذا عندما قام المسيح ناقضًا أوجاع الموت... اندحرت قوات الظلمة واندكت حصون الشيطان ابتلع الموت إلى غلبة ودارت الدائرة على الشيطان. وهنا يصف إشعيا ارتباك الشيطان كمدان أمام الله... وقد ضاع المهرب منه كمثل شاردي الحرب.

١٨. "ويكون أن الهارب من صوت الرُعبِ يَسْقُطُ في الحُفْرَةِ، والصَّاعِدَ من وَسَطِ الحُفْرَةِ يُوَحَّدُ بالفَخِّ. لأن ميازيبَ من العلاءِ انْفَتَحَتْ، وأُسِّسَ الأرضُ تَزَلْزَلَتْ."

١٩. انسَحَقَتِ الأرضُ انسِحَاقًا. تَشَقَّقَتِ الأرضُ تَشَقُّقًا. تَزَعَزَعَتِ الأرضُ تَزَعُّعًا.

٢٠. تَرَنَّحَتِ الأرضُ تَرَنُّحًا كالسَّكرانِ، وتَدَلَّدَتِ كالعِرْزالِ، وثَقُلَ عليها

ذنبها، فسقطت ولا تعود تقوم".

+ هذه أركان مملكة الشيطان... كل ما هو أرضي وترابي... على هذا كانت تقوم مملكته في وسط العالم.... شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة.. وعلى هذا كانت ترتفع على الكبرياء وتمجيد الذات.. ترتفع بالكبرياء وتتحل بالشهوات وتتمجد بالكذب... وتفتخر بالأباطيل...

وكل هذه الأمور تزعزعت من أساساتها عندما خلص الرب شعبه بالصليب... قيل إن الصخور تشققت والقبور تفتحت... انكسر سلطان الموت الذي كان يمسك بقبضة عاتية كل النفوس وتزعزعت أساسات مملكة الشيطان... انحل الكبرياء... صارت الشهوات حقيرة... صارت الخطية مفضوحة أمام أعين أولاد الله صار العالم كله تافهًا... ما كان لي ربحًا حسبته خسارة وأني أحسب كل الأشياء نفاية.

ظهور ملكوت المسيح كنور في الظلام مبادئ عالية سامية ووصايا روحية اندكت أمامها كل مشورات الشيطان.

كل هذا صنعه الرب بالصليب من أجلنا وقد أكد إشعيا هذه المعاني بقوله: "في ذلك اليوم يخجل القمر وتخزي الشمس لأن رب الجنود قد ملك على جبل صهيون في أورشليم" (ع ٢٣).

ففي ذلك اليوم. يوم الصليب. خجل القمر وخزيت الشمس من المعلق على الخشبة ما أجمل هذا التعبير النبوي وما أعمقه إنه يحتاج إلى هدوء وتأمل وصلاة وشكر للذي افتدانا بدمه وإشعيا يحدد أنه في ذلك اليوم ملك الرب على جبل صهيون في أورشليم ملك على خشبة كما يقول المزمور وكان عنوان علقته مكتوب على الصليب بلغات مختلفة (يونانية - رومانية - عبرانية) "هذا هو ملك اليهود" (لو ٢٣: ٣٨)، هو ملك الملوك ورب الأرباب ولد كملك. ابن داود. ودخل أورشليم كملك وُصِّب على الصليب كملك. وملك على الكل وهو على الصليب... ولكن ينبغي لنا أن نؤكد أنه رفض أن يكون ملكًا بحسب مفهوم الناس وعُرف العالم لأن مملكته ليست من هذا العالم.

تقييد الشيطان:

يؤكد سفر الرؤيا هذا المعنى أن الشيطان يقيد ألف سنة. "فقبض على التين، الحية القديمة، الذي هو إبليس والشيطان، قيده ألف سنة، وطرحه في الهاوية وأغلق عليه، وختم عليه لكي لا يضلَّ الأمم في ما بعد، حتى تتم الألف السنة. وبعد ذلك لا بد أن يحل زمانًا يسيرًا" (رؤ ٢٠: ٢، ٣).

وهذا ما يتنبأ به إشعياء النبي في سياق حديثه عن يوم الخلاص:

٢١. "ويكون في ذلك اليوم أن الرب يُطالبُ جُنْدَ الْعَلَاءِ فِي الْعَلَاءِ،
وَمُلُوكَ الْأَرْضِ عَلَى الْأَرْضِ.

٢٢. وَيَجْمَعُونَ جَمْعًا كَأَسَارَى فِي سَجْنٍ، وَيُعَلِّقُ عَلَيْهِمْ فِي حَبْسٍ، ثُمَّ بَعْدَ
أَيَّامٍ كَثِيرَةٍ يَتَعَهَّدُونَ".

فبالصليب ربط الشيطان وصار مقيدًا فاقدًا سلطانه وقوته أمام الصليب. منسحقًا ومهانًا مشهرًا جهارًا، وأسلحة محاربتنا الصليب ووسائل النعمة قادرة بالله على هدم حصونه.

أما ما كان الشيطان متفوقًا فيه كرئيس سلطان الهواء وكما يقول الرسول عنه: "أجناد الشر الروحية في السماويات" (أف ٦: ١٢) فهذا دعاه إشعياء جند العلاء ... أي سلطان الشيطان في عالم الروح... وكذا أيضًا سلطانه في عالم المادة "ملوك الأرض على الأرض" فكليهما قد حكم الرب عليهما بالصليب وقيدهما كما في حبس وسجن كأسرى في ذل الحبوس.

انظر وتأمل أيها العزيز... في بركات الخلاص وقوة الصليب وكم صنع الرب بنا من عظام. فلنمجد اسمه القدوس على رحمته ونشكره لأنه صالح وأن إلى الأبد رحمته.

٢٣. "وَيَحْجَلُ الْقَمَرُ وَتُخْزَى الشَّمْسُ، لِأَنَّ رَبَّ الْجُنُودِ قَدْ مَلَكَ فِي جَبَلِ
صِهْيُونَ وَفِي أُورُشَلِيمَ، وَقَدْ أَمَّ شَيْوْخِهِ مَجْدًا".

عندما ظهر الرب بمجد في القديم أمر الرب موسى أن يصعد إلى الجبل هو

وهارون وسبعون شيخًا (خر ٢٤).

وتراءى الرب بمجده أمام شيوخ بني إسرائيل.

وهكذا عندما تمجد الرب بالصليب على جبل الجلجثة وأظلمت الشمس من الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة... عاين كل بشر مجده وشهد قائد المئة والذين كانوا واقفين رجعوا وهم يقرعون صدورهم. وقد اختص الرب شيوخه. كهنته. رسله الذين اختارهم شهودًا... فرأوا وشهدوا وعاينوا ونحن نعلم أن شهادتهم حق.. كما يقول يوحنا الإنجيلي رفيق الصليب، وكما قال القديس بطرس الرسول كنا معانين عظمته. بل أن المجد الأبدي الذي رآه القديس يوحنا في رؤياه، يستعلن هذا المجد قدام الأربعة والعشرين شيخًا (قسيسًا) الجالسين حول العرش الإلهي على أربعة وعشرين عرشًا وفوق رؤوسهم تيجان من ذهب وفي أيديهم مجامر الشفاعة مملوءة بخورًا هو صلوات القديسين. إنه منظر واحد لمجد الله يزداد وضوحًا كلما اقتربنا إليه، حتى نبلغه في السماء حيث ندركه ولا نستطيع أن ندرك كماله ولا نهايته.

الأصاحاح الخامس والعشرون

مقدمة:

+ في الأصاحاح ٢٤: ١٦ سمع إشعيا النبي من أطراف الأرض ترنيمه مجدًا للبار، بينما إسرائيل غارق في الحزن، والآن يعلن إشعيا عن كمال الخلاص وقبول إسرائيل واستعلان أورشليم الجديدة بخلاص المسيح. إذ يختتم نبوات الأصاحاح السابق قائلاً: "لأن رب الجنود قد ملك في جبل صهيون وفي أورشليم، وقدام شيوخه مجد". أي كما قال القديس بولس الرسول أنه بعد أن يدخل ملئ الأُمم، يجمع الرب متفرقي إسرائيل وتخلص البقية. وهكذا ترفع صهيون صوتها بذات التسبيح الذي سمع من أطراف الأرض "أي من الأُمم البعيدة عن رعوية إسرائيل".

سبب التسبيح:

يظهر جليًا أن سبب الفرح هو سقوط وتدمير "قرية الخراب" (ص ٢٤: ١٠) التي بإلقائها إلى الأرض صنع الرب خلاصًا عظيمًا للمذلولين من شعبه، وهذا أرجع إلى الذهن صورة عجائب الخلاص في البحر الأحمر. وإذا سألنا مَنْ تكون قرية الخراب هذه؟ فإن الجواب تعطيه المقارنة بين (ص ٢٦: ١) حيث يقول "لنا مدينة قوية. يجعل الخلاص أسوارًا ومترسة". (ص ٢٦: ٥ - ٦) "يضع القرية المرتفعة. يضعها إلى الأرض. يلصقها بالتراب. تدوسها الرّجل رجلاً البائس، أقدام المساكين" فقريّة الخراب أي مملكة المخرب، حيث الشيطان إبليس هي الضد للمدينة التي لها الأساسات، التي أسوارها هي الخلاص الذي صنعه المسيح بدمه.

+ من جهة أخرى إذ عدنا إلى (ص ٢٤: ٢٣) نجد إشراق الصليب بجلاء أكثر من نور الشمس "يخجل القمر وتخزي الشمس، لأن رب الجنود قد ملك (على خشبة الصليب) في جبل صهيون وفي أورشليم".

وهذا ما حدث بالحرف حين صُلب ربنا وكانت ظلمة على الأرض كلها من وقت

الساعة السادسة إلى وقت الساعة التاسعة. على هذا يكون التسبيح هو التعبير التلقائي للمفديين بدم المسيح يمجدون الخلاص ويذكرون العجائب والآيات التي صنعها بيده القوية وذراعه المحدودة.

١. "يارب، أنت إلهي أعظمك. أحمداً اسمك لأنك صنعته عجباً. مقاصدك منذ القديم أمانةٌ وصدقٌ".

تبدأ تسبحة الخلاص ذات البداية التي لتسبحة موسى عبد الرب يوم عبور البحر الأحمر حين قالوا: "أرنم للرب لأنه قد تعظم" (خر ١٥ : ١)، وهذه هي الكلمات التي يسبحون بها إلى أبد الدهور في السماء، كما رآهم القديس يوحنا الحبيب في رؤياه "وهم يرتلون ترنيمة موسى عبد الله" (رؤ ١٥ : ٣).

فالتسبيح هو تمجيد الله من أجل أعماله العظيمة، وهو أساساً لغة الملائكة المطلعين على جلائل أعمال الله وقدرته. ولكن الله أعطى الذين هم على الأرض تسبيح السيرافيم (إش ٦).

لأنه صانع العجائب وحده وليس بأحد غيره الخلاص.

صنعت عجباً:

لقد تنبأ إشعياء النبي قائلاً: "يدعى اسمه عجباً" (إش ٩ : ٦)، وهو كما يدعوه المزمور "متعجب منه بالمجد" وفي تسبحة موسى قالوا: "من مثلك بين الآلهة يارب. من مثلك معتزاً في القداسة، مخوفاً بالتسابيح، صانع عجائب" (خر ١٥ : ١١). فأعمال الله الخلاصية هي بمثابة عجائب وآيات على الأرض... من المذود حتى الصليب والقيامة، والصعود إلى السماء. وكلها تستوجب الحمد والتسبيح لكونها أعمالاً فائقة للطبيعة. وخلصاً غير متوقع بل مستحيل على ذراع بشر، لذلك لا يملك الإنسان إلا أن يسبح ويمجد إله الآلهة ويشكره لأنه صالح ومحب للبشر.

مقاصدك منذ القديم أمانةٌ وصدقٌ:

الذي يتتبع التاريخ المقدس يدرك منذ البداية أن مقاصد الله للخلاص هي منذ القديم بل منذ الأزل.

وهذا يجعل النفس مدينة للذي أحبها قبل كون العالم فإشعياء حينما أدرك عمل الخلاص بالصليب على جبل صهيون أدرك في الحال أعمال التدبير الإلهي والحب الأزلي والمقاصد القديمة المكونة نحونا، كأن الصليب ليس حدثًا جديدًا في الزمن ولكنه منذ القديم. تأمل قرايين هاويل الصديق، وذبيحة أبينا إبراهيم، في سفر التكوين، وخروف الفصح في سفر الخروج... وهكذا.

إنها حقًا مقاصد منذ القديم، لما جاء ملء الزمان إستعلنت للعيان تأمل قول بولس الرسول "اختارنا فيه قبل كون العالم لنكون قديسين". وقول الرب "رثوا الملك المعد لكم قبل إنشاء العالم".

إنها مقاصد منذ القديم وحب أزلي للمختارين والمعينين لميراث ملكوته وقد تحقق بالصليب وتكميل الخلاص أن الله صادق في مواعيده، وعلى حد تعبير القديس بطرس الرسول "ما سبق وأنبأ به بأفواه أنبيائه أن يتألم المسيح قد تممه هكذا".
فما أروع أن يعيش إشعياء بروح النبوة تحقيق مواعيد الله وينطق بهذا التسبيح ويحمد الاسم القدوس لأنه صنع العجائب وتم الخلاص وأكمل مواعيده الإلهية في ملء الزمان.

٢. "لأنك جعلت مدينة رُجْمَةً. قريةً حصينةً رَدْمًا. قَصْرًا عَاجِمَ أَنْ لَا تَكُونَ مَدِينَةً. لَا يُبْنَى إِلَى الْأَبَدِ".

لقد حطم الرب بالصليب قوة الشيطان وشوكة الخطية كسرهما وسحق الموت بموته، وصارت مملكة الشيطان منهزمة، بلا كيان ولا قوة، ودكت حصونه التي كان يتحصن بها داخل الإنسان لقد كانت الخطية متخذة فرصة على الإنسان، متحصنة وراء الغرائز في الجسد، ساكنة فيه حتى كان الإنسان يصرخ "ويحي أنا الإنسان الشقي مَنْ ينفذني من جسد هذا الموت".

وكان ناموس الخطية كائن في الأعضاء، يسبي الإنسان رغماً عنه إلى الانحدار حتى لو كان الإنسان يُسَّرَ بناموس الله ووصاياها ولكنه كان مغلوبًا ومقهورًا من سلطان

روح الظلمة المالك في جسده. فلما جاء المسيح المخلص، والكلمة صار جسداً، ودان الخطية في الجسد، عندما حمل خطايانا وأنهى على سلطان الشيطان بقيامته ناقضاً أوجاع الموت عن الجسد ومحزراً عبده من سلطان الموت. هنا هدمت مملكة الموت، صارت مثل رجمة حجارة، أو ردم تراب، ولن تبني إلى الأبد، لأن قوة الحياة في المسيح وناموس روح الحياة فيه أعتقني من ناموس الخطية والموت إلى الأبد.

٣. "لذلك يُكرّمك شَعْبٌ قَوِيٌّ، وتُخافُ منك قَريّةٌ أُممٌ عَتَاةٌ.

٤. لأنك كُنْتَ حِصْنًا لِلْمَسْكِينِ، حِصْنًا لِلْبَائِسِ فِي ضَيْقِهِ، مَلْجَأً مِنَ السَّيْلِ، ظِلًّا مِنَ الْحَرِّ، إِذْ كَانَتْ نَفْحَةُ الْعَتَاةِ كَسَيْلٍ عَلَى حَائِطٍ".

على مستوى الأحداث الزمنية، كان يتبع العجائب والآيات التي يعملها الرب لخلاص شعبه، مخافة ورعب في الشعوب المحيطة، تذكر كيف ذابت قلوب شعوب الأرض عند سماعهم أخبار انكسار فرعون وعزته في البحر الأحمر، انحلت أحقاء الملوك ودخل الرعب وخوف الرب عليهم (راجع سفر الخروج).

وكذا الملوك في الأزمنة اللاحقة، مثل نبوخذ نصر، عندما رأى أعجوبة الخلاص من النار للثلاثة فتية القديسين، كيف خاف الله واكرم اسمه وكتب كتابات تمجيد لله لجميع الشعوب.

وأيضاً أيام أحشويرش الملك بعد أن صنع الرب الخلاص العجيب من يد هامان، وكيف وقع خوف الرب والرعب على الشعوب التي كادت تفتك بشعب الله لولا تدخله العجيب.

+ أما المسكين والبائس فقد احتفى وتحصن في المدينة التي صار الخلاص سوراً لها، المدينة التي لها الأساسات.

فلما جاء السيل، وكانت نفخة العتاة، كالسيل على الحائط لم تستطع أن تتال شيئاً لأن البيت الذي احتفى فيه البائس كان مؤسساً على الصخر كما قال الرب في الموعدة على الجبل (مت ٧).

+ وماذا يصنع العتاة بعد أن صارت مدينتهم ردمًا؟ بالصليب، وماذا يصنع الشيطان بإنسان ركض إلى حضن الرب وتمنع وسكن في ستر العلي وفي ظل الإله القدير الذي هو الصليب؟

٥. "كحَرِّ فِي يَبَسٍ تَخْفِضُ صَجِيجَ الْأَعَاجِمِ. كَحَرِّ بَظْلٍ غَيْمٍ يُدَلُّ غِنَاءَ الْعُنَاةِ".

+ لقد أبطل الرب تجبر الشيطان، وأذل فرحه إلى حزن أبدي مثل ما يبطل الحر. حينما تظلل السحابة عليه.

لقد ظلل الرب بسحابة النعمة وأمطر بروحه على البشرية وأزال حريق الحر وأنهى على قوة النار "صوت الرب يطفئ لهيب النار".

+ وإن وعد الرب قائم "إنه يظل على يدك اليمنى فلا تحرقك الشمس بالنهار ولا القمر بالليل".

+ وقد اختبر الشعب هذا العمل العجيب أربعين سنة في البرية في الشمس المحرقة. كيف كانت السحابة تظللهم نهارًا كل الأيام. كوجود دائم لله. فلم تضرهم الشمس.

+ لا يفوتنا أن ندرك أن الشيطان يشعر بالنشوة والانتصار ويصنع ضجيجًا وغناء وشماتة عظيمة إذا تمكن من أبناء الله.

- تأمل مقدار الفرح. فرح الأعاجم - بسقوط شمشون وإذلاله!؟
- تأمل تجبر جليات الفلسطيني وتعبيره صفوف الله العلي بلسان الشيطان وكبرياء العتاة حينما شعر أنه لا يستطيع أحد أن ينتصر عليه.
- تأمل كلام ربشاقى رئيس جيش سنحاريب حينما حاصر أورشليم وتكلم على من على السور للشعب المذلول المحاصر!؟!

إنها طبيعة الشيطان، روح الظلمة، المعاند والمقاوم لله. ولكن هل ينسى الرب تجبره أو يترك أولاده أو يتغاضى عن صراخ المسكين؟ حاشا.

إن المزمور يقول "من أجل شقاء المساكين وتتهد البائسين الآن أقوم يقول الرب

أصنع الخلاص علانية".

+ إنه يخفض ضجيجه... ويذل غناؤه، فلا تسمع صوته ولا شماتة غناؤه، بل تسمع صوت عويل ومذلة وعذاب أبدي يكابده إبليس.
+ فالفرح بإذلال شمشون لم يدم بل أنقلب على الفلسطينيين أوجاع موت وخراب أبدي.

+ وتجبر جليات وكلمات الهزء والثقة بالذات والارتقاع بالكبرياء تحول إلى العكس تمامًا أمام داود الصغير المؤيد بنعمة الله والمتسلح باسم رب الجنود.
+ وجيش سنحاريب تحول إلى جثث قتلى ١٨٥ ألف في ليلة واحدة وخفت صوت ضجيجهم حول أورشليم.
هذه هي أمثلة أعمال الخلاص التي تخفض ضجيج الشيطان المشتكى على أولاد الله وتذل غناؤه وتخبئ أمله في النصر.

٦. "ويصنع رب الجنود لجميع الشعوب في هذا الجبل وليمة سمائن، وليمة خمّر على دردي، سمائن مُمخّة، دردي مصفّى.
٧. ويُغنى في هذا الجبل وجه النّقاب. النّقاب الذي على كل الشعوب، والغطاء المغطّى به على كل الأمم".

+ لقد جاوز التعبير هنا حدود الإعجاز، إذ رسم الروح القدس أروع أيقونة لصليب ربنا يسوع المسيح على جبل الجلجثة وأوجه الصليب كثيرة متعددة على كل حال بمقدار ما تعددت نعم الصليب وحكمة الله في الصليب.
ولكن هذه الأيقونة تفردت بأن رسمت المسيح المصلوب كأنه وليمة عظيمة، أعدها الرب الإله لجميع الشعوب ولكل الأمم. وهنا يجدر بنا أن نشير إلى بعض ملامح هذه الأيقونة التي إذا تأملناها إلى أبد الدهور لن ندرك كمال بهائها ولا عظمة مجدها.

+ مع النظرة الأولى لوليمة الصليب ندرك مقدار حب الله للعالم كله إذ يدعو الرب إلى وليمته جميع الشعوب والأمم "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد" (يو ٣: ١٦) أي أن الله ليس لشعب دون سواه... ليس لليهود فقط بل للعالم كله.

+ حول الصليب يجتمع العالم كله، في وليمة مصالحة، لأن الصليب صالح
السمايين مع الأرضيين، وجعل الاثنين واحدًا وقتل العداوة... وشق الحاجز المتوسط،
وبالصليب ليس عبد ولا حر، يوناني وسيكثي، يهودي وأممي، ختان وغرلة.

لقد جمعت الوليمة أبناء الله المتفرقين إلى واحد.

+ إن المستحقين لآلام المسيح والذين جذبهم الصليب إليه، مدعوون للتمتع بهذه
الوليمة إلى الأبد في عشاء عرس الخروف (رؤ).

+ ذبيحة الصليب هي ذبيحة سمائن، خمر مصفى. لكي تتلذذ بالدم لآبد أن
تأتي إلى الصليب، إذ أن تعب الإنسان وسعيه يعتبر كقبض الريح وكمن يزن فضة
لغير خبز وتعبه لغير شبع (إش ٥٥ : ٢)...

وكأن الرب ينادي على الصليب "استمعوا لي استماعًا وكلوا الطيب، ولتتلذذ
بالدم أنفسكم" (إش ٥٥ : ٢).

فالدسم الإلهي مكتوب عنه في سفر التثنية عندما نطق موسى بكلام النشيد يعدد
أعمال الله لإسرائيل "أركبه على مرتفعات الأرض ... وأرضعه عسلًا من حجر... مع
دسم لب الحنطة" (تث ٣٢ : ١٣ - ١٤)، فالوليمة الدسمة هي جسد الرب (دسم لب
الحنطة)، والخمر النقي المصفى من الرواسب هو دمه الإلهي الذي سفكه عن حياة
العالم (لجميع الشعوب).

+ ويفنى في هذا الجبل وجه النقاب...

وعندما يقدم المسيح ذاته على جبل الجلجثة، ينشق حجاب الهيكل الذي طالما
عذب الإنسان، إذ كانت العداوة قائمة بينه وبين الله، وكان الحجاب يحجز الرؤيا،
 ويفصل بين قدس الأقداس حيث تابوت عهد الله، وبين الشعب الواقف خارجًا، لذلك
عندما علق الرب على الصليب انشق حجاب الهيكل، وصار صلح وسلام، وأصبح
لنا حق الدخول والترائي أمام الله.

والقديس بولس الرسول قال عن جماعة اليهود أنه إلى الآن البرقع موضوع على
قلوبهم، وعتمة الرؤيا مازالت قائمة لعدم قبولهم وتمتعهم بالصليب، وقال أن البرقع زال
بصليب المسيح وأننا ناظرين إلى الرب بوجه مكشوف لأنه حيث روح الرب هناك
الحرية... حرية مجد أولاد الله.

+ من ناحية أخرى لم يكن يستعلن مجد الله في العهد القديم إلاً ويحيطه دخان وسحاب كثيف وضباب... كما حدث في أيام موسى وإيليا، وفي تدشين هيكل سليمان "لأنه على كل مجد غطاء".

لكن بالصليب، بطل النقاب ونزع الرب الغشاوة وأنار الحياة والخلود، وحتى السحابة التي ظللتهم على جبل التجلي كانت سحابة نيرة كما يشهد الإنجيل.

+ أيضًا كان النقاب المغطى به على كل الأمم من عمل الشيطان إذ "إله هذا الدهر أعمى عيون غير المؤمنين" وصار كأنه غشاوة على العين "لهم عيون ولا يبصرون ولهم آذان ولا يسمعون".

أو كما قال الشهيد الأول للمسيحية استفانوس لرؤساء اليهود "غير المختونين بالقلوب والآذان".

وقد نزع الرب هذا الغطاء وأبطل عمل الشيطان وفتح القلوب والآذان وجعل العمى يبصرون والصم يسمعون.

وجمع كل الشعوب حول ذبيحة الصليب من أجل حياة أبدية.

٨. "يبلع الموت إلى الأبد، ويمسح السيد الرب الدُموع عن كل الوجوه، وينزع عمار شعبه عن كل الأرض، لأن الرب قد تكلم".

يا للروعة والجلال الذي يكلل هذه الكلمات الإلهية التي أفصحت عن عمل المسيح على الصليب بجلاء ووضوح ما بعده وضوح، وكأننا رغم عمق الزمن نقرأ في كلمات العهد الجديد في وصف الصليب.

أ. يبلع الموت إلى الأبد:

قد ابتلع الموت من الحياة، وابتلع الموت إلى غلبة ونصرة. انتصرت الحياة في المسيح كلمة الله على موت الخطية التي قتلت الإنسان ودخل الموت بإنسان واحد إلى جميع الناس وفي آدم مات الجميع ثم اقتحمت الحياة سائر البشر واتحدت الحياة الأبدية بجسد الإنسان في بطن العذراء وغلبت الحياة شوكة الموت وكسرتها، وقام المسيح من الأموات ناقصًا أوجاع الموت، حَقًا لقد ابتلع الموت إلى الأبد.

ب. ويمسح السيد الرب الدموع عن كل الوجوه:

وقد رآها القديس يوحنا الحبيب، في السماء تتم في المجد الأبدي في نفوس اللابسين الثياب البيض التي بيضوها وغسلوها في دم المسيح الحاملين لسعف النخل سائرين في موكب النصر والقيامة... حين قال "وسيمسح الله كل دموعهم من عيونهم" (رؤ ٢١: ٤) وقال مؤكداً على نهاية الموت "والموت لا يوجد فيما بعد" هذا هو كمال مجد القيامة حين يتمتع بها أولاد الله الذين سيحسبون أهلاً للقيامة، الذين لن تمح أسماؤهم من سفر حياة الخروف.

+ المسيح بصليبه مسح الدموع عن كل الوجوه، لأن أوجاعنا حملها وآثامنا وأتعبنا تحملها.

لقد بكى يسوع وفي المقابل كان يجفف دموع البشرية كلها ولما قام من الأموات قال للمجدلية لماذا تبكين؟ مَنْ تطلين؟ فدموع يسوع صارت عوضاً عن دموع الخطاة والساقطين والمنسحقين أليس هذا ما صنعه مع أرملة نايين، حين مسح الدموع عن وجهها وبذل حزنها إلى فرح بالقيامة من الأموات.

+ هكذا أيضاً سيحول الرب حزن الذين سيكون وينوحون والعالم يفرح، الذين سيكون دموع التوبة والحنين إلى السماء والذي سيكون ويتنون من أجل الرجاسات والذين يتألمون بشكر والذين يتوقعون ملكوت الله بصبر وسهر، وعيونهم مملأى بدموع الرجاء، سيمسح الله الدموع عن كل الوجوه.

ج. وينزع عار شعبه:

"عار الشعوب الخطية" كما هو مكتوب في سفر الأمثال، وقد نزع الرب عار شعبه عندما حمل خطاياهم على الصليب ومن أجل السرور الموضوع أمامه احتمل العار مستهيناً بالخزي. والذي لم يعرف خطية صار خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه. لقد غلق على الصليب عرياناً فستر عراء البشرية التي عرتها الخطية منذ اللحظة الأولى حينما تعرى أبونا آدم وأراد أن يستر ذاته بورق التين.

ليس بأحد غيره الخلاص، وليس طريق آخر لنزع العار... عار الخطية سوى

ذبيحة الصليب الذي به حمل المسيح عارنا وأسلم من أجل خطايانا وقام لأجل تبريرنا.

٩. "ويقال في ذلك اليوم: هوذا هذا إلهنا. انتظرناه فخلصنا. هذا هو الرب انتظرناه. نبتهج ونفرح بخلصه".

لقد تعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة، وهو على عود الصليب والذين نظروا الصليب إستاروا ووجوههم لم تخجل بل صار يوم الصليب لهم يوم التسبيح ويوم إكتشاف قوة الله، هكذا صار الصليب للمنتظرين والمترجين الخلاص. ألم تتهلل حنة بنت فنوئيل مع المنتظرين الخلاص. وسمعان الشيخ أيضًا، حين أدركهم المخلص وهو بعد ابن أربعين يومًا؟ يومها رأوا الصليب علامة الخلاص قائلين: "مبارك الرب الذي افتقد وصنع خلاصًا لشعبه" ومنذ ولج مخلصنا الصالح دائرة بشريتنا متحدًا بها بالجسد، دخل الفرحة والابتهاج والسرور إلى العالم كمثل ما سمع من الملائكة في ليلة الميلاد "المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة".

١٠. "لأن يد الرب تستقر على هذا الجبل، ويُداس مُوآب في مكانه كما يُداس الثَّبن في ماء المذبذبة".

يد الرب ويمينه تعني كلمته، ابنه الوحيد، كما قال إشعياء في (ص ٥٣)، "لمن إستعلنت ذراع الرب". وكما قال أيضًا: "استيقظي البسي قوة يا ذراع الرب، ألسنت أنت هي المنشفة البحر؟".

وإشعياء هنا يخبر أن يد الرب تستقر في جبل صهيون، أي كما تنبأ زكريا النبي أن الرب يأتي ويسكن في وسطها إلى الأبد (زك ٨: ٣).

فحلول الكلمة هنا ليس حلولًا مؤقتًا وظهورًا عابرًا كما حدث في العهد القديم في رموز الخلاص، ولكنه استقرار وسكنى. إذ بعد أن أخذ الرب طبيعتنا وتجسد متحدًا بها وجعلها واحدًا مع لاهوته، لا يعود يتخلى عنا أو يتركنا أو يفصل عن ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين...

والأمر الموازي لحلول الله ونزوله وسكناه بيننا، هو انهيار الشيطان وانسحاقه

وكسر شوكة الخطية وسلطانها.

لذلك قال يداس موب (رمز الشيطان) في مكانه، لأن الرب انتصر لنا عليه في مكانه "في القفر على جبل التجربة".

وفي مكان في النفوس التي كان متسلطاً عليها وساكنًا فيها. وفي مكانه عندما نزل إلى الجحيم وسبى سببًا وأعطى الناس كرامات، وخلص آدم وبنيه المنتظرين خلاصه من سجن الجحيم وذات التعبير النبوي "يداس موب" هو الذي استعمله الإنجيل. إذ قد داس الرب الموت بموته، ووطئ العدو حتى إلى التراب، وأعطانا السلطان أن ندوس الحياة والعقارب وكل قوة العدو.

+ ويزيد إشعياء أيضًا ليؤكد أن الموضوع ليس مجرد نصره عادية على الشيطان بل يصف تفاصيل سقوطه وضعفه قائلاً:

١١. "فَيَسِطُ يَدَيْهِ فِيهِ كَمَا يَبْسِطُ السَّابِحُ لِيَسْبَحَ، فَيَضَعُ كَبْرِيَاءَهُ مَعَ مَكَايِدِ يَدَيْهِ".

ولك أن تتصور هذا المنظر، إنه سقوط عظيم، قد وصفه الرب يسوع لتلاميذه قائلاً: "رأيت الشيطان ساقطاً من السماء مثل البرق".

لقد تحطم كبرياء الشيطان، وانكسرت فخاخه وحيله (مكايد يديه). فَمَنْ يَخَافُ مِنْهُ بَعْدَ؟ إِنْ الْآبَاءُ الْقَدِيسُونَ ضَرَبُوا أَرْوَاعَ الْأَمْثَلَةِ فِي النِّصْرَةِ عَلَيْهِ. مَتَمَسِّكِينَ بِالصَّلِيبِ وَسَائِرِينَ فِي مَوَكِبِ النِّصْرَةِ الَّذِي قَادَهُمْ فِيهِ يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ الْمَصْلُوبُ. لَقَدْ صَارَ الشَّيْطَانُ ضَعِيفًا مَنْطَرِحًا مَغْلُوبًا وَسَاقِطًا عِنْدَ أَقْدَامِ الْقَدِيسِينَ. لَقَدْ انطرح شيطان محبة المال عند قدمي القديس أنطونيوس وسقط شيطان الدينونة سريعاً تحت قدمي القديس مقاريوس. وتبدد شيطان الزنى مخزياً عند قدمي مارجرس، ومريم المصرية التائبة، وموسى الأسود.

لقد غلبوه حقاً وداسوا بعز ورنموا ترانيم الخلاص إلى أبد الدهور.

١٢. "وَصَرَحَ ارْتِفَاعِ أَسْوَارِكَ يَخْفِضُهُ، يَضَعُهُ، يُلْصِقُهُ، بِالْأَرْضِ إِلَى التُّرَابِ".

علة الشيطان الأولى هى الكبرياء، وعمل المسيح الأعظم هو الاتضاع، فالمسيح
باتضاعه الإلهي دان كبرياء الشيطان، وأحدره إلى هوة الهلاك، وقد اندكت أسوار
المدينة العاتية، قرية الهلاك، مملكة الكبرياء بتجسد الكلمة وموته على الصليب،
وقيامته ونصرته على الموت. أما المدينة التي لها الأساسات فصارت أسوارها
خلاصًا، وارتفعت راية الخلاص على جبل صهيون، بشرى للمتضعين أن الرب
سيرفعهم في زمان الافتقاد.

حقًا أنزل الأعداء عن الكراسي ورفع المتضعين.

افرحوا يا أسرى الرجاء واهتفوا وترنموا أيها المستقيمي القلوب.

الأصحاح السادس والعشرون

١. "في ذلك اليوم يُغنى بهذه الأغنية في أرض يهوذا: لنا مدينة قوينةٌ.
يجعل الخلاص أسواراً ومرتساةً".

في اليوم الذي يعظم الرب الصنيع ويصنع الخلاص، يوم يفدي نفوس عبده من سطوة الخطية وسطان إبليس ويكسر الموت ويهرب الحزن ووجع القلب. في ذلك اليوم يغني ويبتهج كل قلب ويسبح كل لسان لأن التسبيح ينبع تلقائياً عند استعلان الخلاص والنجاة فحينما خلص الرب شعبه في القديم من يد فرعون ومن العبودية المرة وأخرجهم بذراع رفيعة، حينئذ سبح موسى وجميع إسرائيل تسبحة الخلاص (خر ١٥). وحينما خلص الرب شعبه من يد سيسرا في أيام دبورة النبية تغنت هي أيضاً ودعت الشعب للتسبيح (قضاة ٥).

وحينما بدد الرب المؤامرة التي كانت لإبادة شعبه في أيام أستير الملكة أرسلت إلى جميع شعبها أن يكون لهم فرح وسرور وأعياد وموسم تسبيح ولشكر الرب فإنه صالح (أس ٨).

وجميع قصص رموز الخلاص في العهد القديم وحقيقة التمتع بها في العهد الجديد كان التسبيح هو الثمرة الملازمة لعمل الله. إذ لا بد أن يفيض القلب بكلام صالح للذي يقودنا في موكب نصرته.
وهنا أغنية الخلاص فيها افتخار وندمات نصره وقوة.

لنا مدينة:

المدينة القوية هي أورشليم السماوية، مدينة الله، ومسكن الله مع الناس.
كان القديس بولس الرسول يذكر أن أورشليم الأرضية مستعبدة مع جميع بنيتها أما أننا جميعاً نحن أبناء الموعد نظير إسحق فهي حرة كمثل سارة التي ولدت الابن بالوعد الإلهي.

والمدينة القوية هي الكنيسة، قوية بالمسيح وبصنيعه معها.

+ قوية لأنها مؤسسة على المسيح صخر الدهور.

+ قوية ومرهبة مثل جيش بألوية، مستندة على ذراع حبيبتها.
+ قوية مخيفة للشياطين، لها سلطان المسيح فيها أعطاه لتلاميذه الأطهار أن يخرجوا الشياطين ويدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو.
+ قوية فأبواب الجحيم لن تقوى عليها ثابتة أقوى من الجبال.
+ قوية أقوى من الموت... بل أنها لا ترهب الموت... فيها الشهداء الذين احتقروا الموت وفيها النساك الأقوياء الذين قهروا العالم والشهوات، وفيها القديسون والأبكار ولباس الصليب الذين تقووا من ضعف وصارت إليهم كلمة المسيح "قوتي في الضعف تكمل".

+ هي كنيسة قوية من كل ناحية ومنتشدة كونها عروس المسيح التي اشتراها بدمه. والساكنون في الكنيسة متمتعون ببركات الفداء وأسرار الملكوت يغنون دومًا وبلا انقطاع تسبحة الغلبة والإنصار، تسبحة القيامة وهزيمة الموت والشيطان... تسبحة موسى عبد الرب ويقولون "لنا مدينة قوية".

يجعل الخلاص أسوارًا ومرتسة:

هذه الكنيسة - مدينة الله - أسوارها ومرتسها هي الخلاص الذي صنعه الرب يسوع بدمه على الصليب.

وأسوار الخلاص يركض إليها الصديق ويتمنع ولا يستطيع العدو بكل جبروته أن يجتاز أو يقتحمها. بل يسقط سريعًا ومنسحقًا عند صليب يسوع وأسوار الخلاص تحمي المفديين فلا يصيبهم سهم من سهام الشرير الملتهبة. وأسوار الخلاص عالية، لا يدرك العقل كمال ارتفاعها كما رآها القديس يوحنا في رؤياه.
وأسوار الخلاص مخدومة من الملائكة... على أسوارك يا أورشليم أقمت حراسًا لا يسكتون كل النهار ولا كل الليل، ملاك الرب يحوط بكل خائفه وينجيهم..

٢. "افتحوا الأبواب لتدخل الأمة البارّة الحافظة الأمانة".

القديس يوحنا الرائي رأى مدينة لها اثنا عشر بابًا، من الشرق ثلاثة أبواب ومن الغرب ثلاثة أبواب ومن الشمال ثلاثة أبواب ومن الجنوب ثلاثة أبواب.

وقد سبق أن رأها في القديم حزقيال النبي ووصف مجدها بقياسات سماوية تحتاج إلى نعمة روحية للدخول إلى أسرارها.

فالأبواب الإثني عشر هم على رسم رسل المسيح الأطهار "قد بنى سور المدينة على إثني عشر لؤلؤة مكتوب عليها أسماء رسل الخروف الإثني عشر" فالمؤمنون الذين يستحقون هذا النصيب الفاخر بأن تكتب أسمائهم في سفر الحياة يكونوا مبنين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية. فإن كان الرب يسوع هو الباب والطريق الذي به صار لنا الدخول إلى النعمة التي نحن فيها مقيمون، فالرسل الأطهار الذين أرسلهم إلى أقصاء المسكونة صاروا أساسات سور أورشليم وأبوابها الإثني عشر. إذ بدون الإيمان المسلم مرة للقديسين من الرسل الأطهار يستحيل على النفس العبور أو الوصول إلى مدينة الله.

لذلك فهو يعبر عن الداخلين أنهم "الأمة البارة الحافظة للأمانة" والإنسان ذو الرأي الممكن. أي الحافظون الإيمان الثابتون فيه، الذين لم يتزعزعوا، لا بروح ولا برسالة، ولم ينفادوا إلى تعاليم متنوعة وغريبة بل تمسكوا بإقرار الرجاء ثابتًا إلى النهاية.

افتحوا الأبواب:

فالذين حفظوا الإيمان وأكملوا السعي سوف يسمعون هذا الصوت الإلهي القائل "ادخلوا إلى فرح سيدكم". وعض الباب الضيق الذي اختاروه والطريق الكرب الذي ساروا فيه سينالوا عزاءً أبدياً عندما تفتح لهم أبواب مراحم وحب لا يعبر عنه ويكونون مع الرب كل حين.

٣. "ذو الرأي الممكّن تحفظه سالمًا سالمًا، لأنه عليك متوكّلٌ".

الرب حافظ نفوس عبيده المتوكلين عليه، هو يرسل ملائكة فيحفظونهم، ويحملونهم على أيديهم لئلا تعثر بحجر أرجلهم.

وفي تكرار كلمة سالمًا تأكيد يلذ للنفس أن تتأمله لتزداد ثقته ويكمل يقينها، مهما بلغت الضيقات مثل جب الأسود في حياة دانيال، أو أتون النار في حياة

الثلاثة فتية القديسين، أو التجارب في حياة أيوب، أو شكوى الناس في حياة إرميا، أو الاضطهادات في حياة الرسل والقديسين أو حروب الشياطين في حياة الأبرار والنسك في كل جيل.

فوجد الرب قائم أنه يحفظه سالمًا سالمًا، لأن مواعيده بلا ندامة ورحمته إلى جيل الأجيال لخائفي اسمه وحافظي وصاياه. لذلك يقول:

٤. "توكّلوا على الرب إلى الأبد، لأن في ياه الرب صخر الدهور".

لأن الاتكال على الرب خير من الاتكال على بني البشر، الرجاء بالرب خير من الرجاء بالرؤساء. ولأن المزمور يقول لأنه إتكل عليّ فأنجيه أستره لأنه عرف اسمي.

والاسم العظيم ياه الرب (أي أهية أو يهوه أنا كائن). هو الذي استعلن في القديم لموسى ورأى الشعب قدرته في الخلاص ويمينه التي صنعت قوة، وذراعه التي شقت البحر وجبروت خلاص يمينه ليس للماضي بل وللمستقبل أيضًا لأنه هو هو أمس واليوم وإلى الأبد.

٥. "لأنه يَخْفِضُ سُكَّانَ الْعَلَاءِ، يَضَعُ الْقَرْيَةَ الْمُرْتَفِعَةَ. يَضَعُهَا إِلَى الْأَرْضِ. يُلْصِقُهَا بِالْتَرَابِ.

٦. تَدُوْسُهَا الرَّجْلُ، رَجُلًا الْبَائِسَ، أَقْدَامَ الْمَسَاكِينِ".

لقد رفع الرب المتضعين، ونظر إلى المنسحقين وخائفي الرب والمرتعدين من كلامه. وطوّب المساكين بالروح والقلب والمنكسر لم يردله. وجعل أسوارًا ومرتسة حول مختاريه الذين رفعهم مثل البائس من المزبلة، ومثل العاقر التي صارت ساكنة في بيت أم أولاد فرحة. أما مملكة الشيطان - مملكة الكبرياء فسحقها وأنزل الأعداء عن الكراسي وداسهم بصليبه وكسر شوكة الموت وتجرّب الشيطان سحقه.

ومن الأمور التي يحلو لنا أن نتأملها أن مسكن الأبرار سماها (مدينة قوية)، أما مملكة الشيطان فقد دعاها (القريّة المرتفعة)، فهي إذًا ضعيفة وحقيرة إذا ما قورنت بالمدينة القوية... إذًا بعدما سحق الرب الشيطان بصليبه لم يعد له قوة مخيفة، ولا

سلطان بل صار يجول ملتصقًا أن يبتلع واحد، ولكنه ليس أسدًا حقيقيًا بل كأسد وقال أيضًا قاوموه راسخين في الإيمان، وقيل أيضًا قاوموا إبليس فيهرب منكم، ولا يهرب إلا الضعيف الخائف فطالما تحصنت النفس في أسوار الخلاص بدم المسيح، صارت مملكة الشيطان وحيله وفخاخه وكل جنوده وقواته الشريرة صاروا (قرية صغيرة). حقيقة الشأن ولكن الفضل للمسيح فقط هو الذي خفض سكان العلاء أي مملكة الكبرياء. أشهرهم جهازًا وظفر بهم بصليبه، وداس الموت بموته وأعطى أولاده السلطان أن يدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو كما رجع الرسل قائلين: يارب حتى الشياطين تخضع لنا باسمك... فقال لهم يسوع رأيت الشيطان ساقطًا من السماء مثل البرق.

٧. "طريق الصديق استقامة. ثمهد أيها المستقيم سبيل الصديق".

الرب مستقيم في جميع طرقه، ليس عنده تغيير ولا شبه ظل دوران وهو يفرح بالمستقيمين في قلوبهم ويُسّر بالصديقين ويفرح قلوبهم، وهو يمهد طريق الصديق، يزيل العقبات ويهدم الكبرياء ويرفع المنخفضات وتصير العراقيب سهلًا بلا التواء وبلا كبرياء.

٨. "ففي طريق أحكامك يارب انتظرناك. إلى اسمك وإلى ذكرك

شهوة النفس.

٩. بنفسي اشتهيئك في الليل. أيضًا بروحي في داخلي إليك أبتكر. لأنه

حينما تكون أحكامك في الأرض يتعلم سكان المسكونة العدل".

أحكام الرب حق وعادلة، وطرق الرب مستقيمة، وكلام الرب كلام نقي، ومواعيد الرب صادقة وأمينة، وأعماله كلها بحكمة صنعت.

وأولاد الله في كل زمان ومكان يلذ لهم أن يتأملوا أحكام الله وأعماله وينتظروا خلاصه وتكميل مواعيده وصدق كلامه، ينتظرون الرب بلا قلق لا تضطرب قلوبهم ولا تجزع، وبلا خوف، وبلا شك في الإيمان. كما قال موسى للشعب في القديم "قفوا وانظروا خلاص الرب. الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون".

يكفي أن تقف النفس وتراقب إله خلاصها، فتمجده على أحكام عدله. الإنسان

كثير القلق متسرع دائماً يتعجل الأمور... لكنه مكتوب "لأنكم تحتاجون إلى الصبر".
الإيمان ينتظر في طريق أحكام الله بصبر وثقة مثل إبراهيم أب الآباء يسير في
الطريق بحسب أمر الرب "سر أمامي وكن كاملاً".
وفي الوقت المعين من الله تكمل أحكام الله.
انتظر الرب... تقو وليتشدد قلبك وانتظر الرب، من محرس الصبح إلى الليل،
ولكن بيقين شديد وثقة كاملة في أن الذي وعد هو صادق وأنه سيأتي الآتي
ولا يبطل.

انتظر في طريق أحكامه وحفظ وصاياه وهو لا بد آتٍ ولو في الهزيع الرابع.
انتظر الرب في طريق أحكامه حتى الصليب وهو لا بد آتٍ قائماً من الأموات ليشرق
على الجالسين في الظلمة وظلال الموت.
لأن جميع الذين ينتظرون الرب لا يخزون.
+ وإلى اسمك وإلى ذكرك شهوة النفس.

منتظروا الخلاص نظروا المواعيد من بعيد وحيوها، ونظروها في رموز وظلال،
وراقبوها في الرؤى والأحلام وتطلعوا إلى شبه السماويات وظلها ولكنهم صدقوها بكل
القلب وآمنوا بها كل الإيمان.

وكم طال انتظارهم إلى آلاف السنين ولكن من جيل إلى جيل كان الإيمان ينمو
والترقب يزداد والشوق إلى النجاة والرجوع إلى حضن الأب يبلغ ذروته. وهنا يعبر
إشعيا النبي عن شوق النفس الساهرة لاستعلان اسم الخلاص الذي لربنا يسوع
المسيح.

اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم.
وإشعيا النبي نفسه قد تكلم عن الاسم المبارك قائلاً: "يدعون اسمه عمانوئيل
الذي تفسيره الله معنا"، وقال أيضاً "يدعى اسمه عجبياً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس
السلام". إلى هذا الاسم وإلى ذكره شهوة النفس لأن قوة الخلاص كائنة في اسم يسوع
المسيح.

ألم يقل الرب للتلاميذ "تخرجون الشياطين باسمي". وقد أجرى الرب على أيدي
الرسل آيات غير المعتادة باسم يسوع وهم قالوا "حتى الشياطين تخضع لنا باسمك".

وبطرس الرسول عند باب هيكل الجميل قال للأعرج: "باسم يسوع المسيح لك أقول قم وامشي" فوقف وصار يمشي ودخل الهيكل وهو يظفر ويسبح الله وقد شهد بطرس أمام مجمع اليهود أنه باسم يسوع الناصري وقف هذا أمامكم صحيحاً مكماً حديثه "ليس بأحد غيره الخلاص، لأن ليس اسمٌ آخر تحت السماء، قد أُعطي بين الناس، به ينبغي أن نخلص".

هذا هو اسم الرب البرج الحصين الذي يركض إليه الصديق ويتمنع... مشتهى الأجيال كلها، ما أجمل كلمات هذه النبوة "إلى اسمك وإلى ذكرك شهوة النفس".

بنفسي اشتهيتك في الليل. أيضاً بروحي في داخلي إليك أبتكر. لأنه حينما تكون أحكامك في الأرض يتعلم سكان المسكونة العدل.

هذه هي ذات الكلمات التي صلى بها داود في المزمور "يا الله إلهي إليك أبتكر لأن نفسي عطشت إليك".

إنه ذات الإحساس الواحد الذي ربط القديسين بالله، شوق وعطش، فبكروا كل يوم بمشاعر ملتبهة بالحب الإلهي. ففي ليل التجارب وظلام الأزمنة السحيقة وسلطان روح الظلمة رئيس هذا العالم. لم تخضع أرواح الأبرار للظلمة بل كانوا ينظرون إلى المواعيد من بعيد ويحيوها.

وصار هذا المسلك الروحي هو المنهج العام للآباء في كل جيل يبكرون إلى الرب كل يوم "سبقت عيناى وقت السحر". ويسمعون صوت الرب "الذين يبكرون إليّ يجدونني". على أن التبكير والنهوض بهذا الدافع القوي، يكشف عن أمانة النفس لله وانحيازها بالكلية للذي أحبها وأسلم ذاته لأجلها، وفي نفس الوقت تظهر النفس كعروس نشيطة غير مستسلمة للنوم والغفلة بل حارة في الروح حتى ولو نام الجسد كحاجة الطبيعة... ولكن بنفسي اشتهيتك... وبروحي إليك أبتكر أو كما تقول عروس النشيد "أنا نائمة وقلبي مستيقظ".

١٠. "يُرحم المُنَافِق ولا يتعلّم العدل. في أرض الاستقامة يصنعُ شرّاً

ولا يرى جلال الرب".

فإن كانت مراحم الله للخلاص تصير سبب تهليل وفرح الصديقين أولاد الله وتسيبهم المدينة القوية وأسوار الخلاص وتصير نفوسهم في أشواق بالمحبة الإلهية تبكر للصلاة والشكر. فإن هذه الأمور كلها لا قيمة لها بالنسبة للمنافق الراض للحق الإلهي وغير المتمتع ببركات الخلاص فتصير كثرة المراحم علة بالأكثر للوقوع تحت الدينونة... "لأن الإيمان ليس للجميع". لذلك قال "يرحم المنافق ولا يتعلم العدل". فبالرغم من أن الرب يسكب من مراحمه عليه إلا أنه لا يتحرك قلبه نحو الله بل يزداد قساوة... كمثّل يهوذا الخائن الذي لم ينتفع من مراحم المسيح وإحسانه ولطفه وطول أناته ولم يتعلم العدل ولا الحق.

ففي أرض الاستقامة يصنع شرًا ولا يرى جلال الرب... وهذا ما قد يوجد في الكنيسة "أرض الاستقامة" متى عاش فيها المنافق فإنه يسلك بفساد يصنع الشر ولا توجد مخافة الرب قدام عينيه... بعكس الصديق الذي يقول "كيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله" فالصديق يقول "جعلت الرب أمامي في كل حين". أما الشرير فليس خوف الله أمام عينيه... ومتى غاب حضور الله من عيني الإنسان فإنه في الظلمة يسلك والظلمة قد أعمت عينيه.

١١. "يارب، ارتفعت يدك ولا يرون. يرون ويخزون من الغيرة على الشعب وتأكلهم نار أعدائك.

١٢. يارب، تجعل لنا سلامًا لأنك كل أعمالنا صنعتها لنا.

١٣. أيها الرب إلهنا، قد استولى علينا سادة سواك. بك وحدك نذكر اسمك.

١٤. هم أموات لا يحيون. أخيلة لا تقوم. لذلك عاقبت وأهلكتهم وأبدت كل ذكركم".

يرفع إشعياء صوته بالشكوى ضد الذين صاروا رؤساء الشعب ولكنهم ليسوا من الله، أقاموا أنفسهم أو أقامهم الناس، لذلك قال عنهم "استولى علينا سادة سواك" أو كما

قال الرب بفم هوشع النبي "أقاموا ملوكًا وليس منِّي" (هو ٨ : ٤).
وإذ كان الرؤساء ليسوا من الله فإن أحكام الله وأعماله تصير غريبة عنهم
لا يعرفونها ولا يدركونها.

فارتفعت يد الرب ولكن لا يرون، إنطمست البصيرة التي تميز يد الرب وأعماله،
لهم عيون ولا يبصرون كما قال الرب يسوع. بل أن الوحي الإلهي يسجل أنهم رغم ما
يبدو عليهم من مظاهر الحياة والسلطان والتسلط لكنهم "أموات
لا يحيون أخيلة لا تقوم". إذًا ليكون مفهومًا أن الحياة الحقيقية هي الوجود في الله
والوجود مع الله، وحفظ وصاياه ورؤية يده العاملة وسلطانه في كل شيء أما دون ذلك
فهو الموت والعدم والفساد.

والسؤال ما هو مركز أولاد الله حينما تجري الأمور على هذا النحو، وينحرف
الشعب بعيدًا عن الله ويتسلط الرؤساء الذين ليس لهم معرفة الله وليس خوف الله أمام
عيونهم؟

يرد إشعياء النبي قائلاً: "يارب تجعل لنا سلامًا".

فأولاد الله يحصلون في وسط العالم على سلام الله الذي يفوق كل عقل "سلامي
أترك لكم سلامي أعطيكم، ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا لا تضطرب قلوبكم".
وهذا السلام الإلهي يغلب الضيقات والتجارب وتحديات الزمن والاضطهادات
و... الخ.

وهذا السلام نابع من وجود الله - عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا. وهو سلام
يستند على رؤية أكيدة، فالأشرار "ارتفعت يد الرب ولا يرون" (ع ١١). في حين أن
أولاد الله يرون خلاص الرب ويده الرفيعة تعمل العجائب.

"قفوا وانظروا خلاص الرب... يمينك يارب معتزة بالقدرة" (خر ١٤، ١٥).

لذلك يؤكد إشعياء على أن الرب صنع كل الأعمال "كل أعمالنا صنعتها لنا"
ونحن نقف وننظر أعمال الله... والمدينة القوية وأسوار الخلاص ونسبجه على كثرة
رحمته فيصير فينا سلامه.

وهذا السلام مرتبط بذكر اسم الخلاص الذي لربنا يسوع المسيح "بك وحدك نذكر
اسمك" (ع ١٣).

وهو ليس من ذواتنا فنحصل على السلام بل كما شهد الرسولان بطرس ويوحنا عندما شفيا الرجل الأعرج وشهدا أمام رؤساء الكهنة قائلين: إنه ليس بقوتنا أو تقوانا فعلنا هذا... بل باسم يسوع.

+ هذا السلام لا يضطرب لأنه لا ينحصر بل يركز على رؤية مستقبلية لنهاية الشر والأشرار "عاقبت وأهلك وأبدت ذكركم" (ع ١٤). وهذا يطمئن نفوس أولاد الله ويعزيهم إذ ينظرون إلى ما لا يرى فيبتهجون بفرح لا ينطق به ومجيد.

١٥. "زدت الأمة يارب، زدت الأمة. تمجدت. وسعت كل أطراف الأرض.
١٦. يارب في الضيق طلبوك. سكبوا مخافتة عند تأديبك إياهم.
١٧. كما أن الحبلى التي تقارب الولادة تتلوى وتصرخ في مخاضها، هكذا كنا قدامك يارب.
١٨. حبلنا تلوينا كأننا ولدنا ريحا. لم نصنع خلاصا في الأرض، ولم يسقط سكان المسكونة.
١٩. تحيا أمواتك، تقوم الجثث. استيقظوا، ترنموا يا سكان التراب. لأن تلك ظل أعشاب، والأرض تسقط الأخيلة".

في هذه الآيات تتجلى قوة الخلاص الذي صنعه الرب يسوع صانع النعمة المحسن لنفوسنا، لأنه ليس بالقوة ولا بالقدرة ولا بذراع إنسان يصير الخلاص بل بروحي قال رب الجنود ونستطيع أن نلخص المبادئ الهامة التي تصير ركيزة لفكرنا ومنهجنا لسلوكنا:

١. إن قدرة الإنسان على الخلاص منعدمة تماما بلا قيمة لأن كل بر يحسب كخرقة دنسة.

وقد شبهها إشعيا النبي تشبيها رائعا "حبلنا تلوينا كأننا ولدنا ريحا. لم نصنع خلاصا على الأرض".

هكذا كان الأنبياء والآباء في القديم إذا لم يكن الخلاص من الخطية في مقدور الناس...

فمهما تعب الإنسان وتلوى بكل الجهادات التي في طاقته لكي يلد الخلاص والغفران والسلام مع الله وكل بركات العهد الجديد فإنه يكون كمن يلد ربحاً.. باطلاً يتعب كقبض الريح.

٢. الخلاص الذي صنعه المسيح الرب هو قيامة من الأموات تحيا أمواتك تقوم الجثث، وهذا ليس في مقدور الناس بل هو وحده الذي يحيي الأموات ويدعو لعازر من القبر، وفي ساعة موته تشققت القبور وقام كثير من أجساد القديسين، بل إنه لما قام من الأموات أقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات وهذا هو الطريق الوحيد للخلاص إذ ليس اسم آخر أعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص إلا اسم يسوع، لأنه هو القيامة والحياة "ومن آمن به ولو مات فسيحيا" وقد استودع الكنيسة روحه القدس الذي حل على الرسل يوم الخمسين كروح الحياة الذي هب على العظام اليابسة كما رآه حزقيال النبي.

وقد أعطى الكنيسة أيضاً جسده الحي المحيي حاضرًا كل يوم على المذبح لكي كل من يتناول منه يحيا إلى الأبد (يو ٦).

٣. إشعياء النبي ببوق النبوة يبشر بشرى قيامة المسيح من الموت "استيقظوا. ترنموا يا سكان التراب".

لأن الموت كان الرب يدعوه نومًا "لعازر حبيبنا قد نام" قال هذا عن رقاد الموت... وقال أنا أذهب لأوقظه.

فالأموات يقومون في المسيح وسكان التراب يترنمون ويسبحون الذي أنهضهم بقيامته.

٤. أما الكنيسة التي ولدت بقيامة المسيح فإنها ازدادت وكان الرب يضم كل يوم الذين يخلصون، وكانت كلمة الرب تنمو وتزداد وكانت الكنائس تبنى وتسير في خوف الله وبقوة الروح القدس كانت تتكاثر.

ولم تزل كلمة الرب تنمو وتزداد وملكوت المسيح ينتشر إلى يوم ظهوره المخوف.

لذلك يراها إشعياء هكذا ويمجد الله من جهتها قائلاً: "زدت الأمة يارب زدت الأمة".

كما يراها كنيسة كائنة من أقصاء المسكونة إلى أقاصيها، ممتدة إلى أطراف الأرض "وسعت كل أطراف الأرض".
لأن الرسل الذين أرسلهم الرب للكراسة، إلى أقصاء المسكونة بلغت أصواتهم.

٢٠. "هَلُمَّ يَا شَعْبِي ادْخُلْ مَخَادِعَكَ، وَأَغْلِقْ أَبْوَابَكَ خَلْفَكَ. اخْتَبِئْ
نَحْوَ لِحِيظَةٍ حَتَّى يَعْبرَ الْغَضَبُ.

٢١. لأنه هوذا الرب يخرج من مكانه ليعاقب إثم سُكَّانِ الأَرْضِ فِيهِمْ،
فَتَكْشِفُ الأَرْضُ دِمَاءَهَا وَلَا تُعْطِي قَتْلَاهَا فِي مَا بَعْدَ".
أخيراً ينادي الله مختاريه الذين حسبوا أهلاً للنجاة والتمتع بالخلاص الذي صنعه
الرب يسوع بدم صليبيه.

هلم يا شعبي ادخل مخادعك، تحت ظل الصليب، في حماية ابن الله، مخادع
الصلاة التي قال عنها الرب يسوع بعيداً عن المظهرية الكاذبة وأبوك الذي يرى في
الخفاء يجازيك علانية لقد فضح الرب القبور المبيضة وفتح باب الحياة السرية والعمل
في الخفية.

الدخول إلى المخادع معناه الدخول إلى العمق في الخفاء.
الدخول إلى المخادع في ستر العلي في ظل الإله القدير.
اختبره داود النبي وسبح الرب الذي أخفاه في خيمته في يوم شدته وستره بستر
جناحيه.

وأغلق أبوابك خلفك، الأبواب التي تقدست بدم الخروف مع العتبة العليا صارت
علامة للنجاة فقال الملاك: "أرى الدم وأعبر عنكم" فاخْتَبَأَ الشَّعْبُ الْمَفْدِي فِي الْمَخَادِعِ
خَلْفَ الأَبْوَابِ يَحْتَمُونَ فِي دَمِ الذَّبِيحَةِ فَخَلَصُوا مِنَ الْهَلَاكِ.

كان هذا مثلاً للذين يحتمون في ظل الصليب فينالوا خلاصاً أبدياً بدم المسيح.
"نحو لحيظة" هذا هو زمن الضيق بالنسبة لأولاد الله.

إنه يحسب أقل من لحظة (لحيظة) إذ قيس بالأبدية والمجد الذي لا يستقصى
والتمتع الدائم في الأحضان الأبوية.

+ إن وقت الضيق والغضب، لا يقاس بالمجد العتيد أن يستعلن.
+ إن الرب قال عنه أنه ساعة... سريعًا ما تعبر، في ساعة القبض عليه في
البستان قال لهم "هذه ساعتكم وسلطان الظلمة" فسلطان الظلمة إلى ساعة أما مجد
المسيح ونور القيامة فالإلى أبد الأبدين ودهر الدهرين.
+ وبالنسبة لآلام المختارين قال الرب المرأة وهي تلد تحزن لأن ساعتها قد
جاءت لكنها لا تعود تتذكر الشدة بسبب الفرح فألام الولادة ساعة أما الفرح الذي
يتبعها فدائم لا يزول.
"أنتم الآن تتكبدون حزنًا ولكني أراكم ففرح قلوبكم ولا يستطيع أحد أن ينزع
فرحكم منكم".

+ لذلك قال النبي في موضع آخر "لحيطة تركتك، وبمراحم عظيمة سأجمَعُكَ".
بفيضان الغضب حجبت وجهي عنك لحظة، وبإحسان أبدي أرحمك، قال ولئيك الرب"
(إش ٥٤ : ٧ - ٨).

فلا يمكن أن يقاس زمان الغضب بزمان المراحم والإحسان الإلهي الذي قدمه
المسيح على الصليب حين فتح يديه وجمع كل واحد في جسده الذي هو الكنيسة على
أن النبي لا يخفي أن الرب يخرج من مكانه.
يخرج من مكانه. (مشيرًا إلى التجسد) ليعاقب إثم سكان الأرض وهذا ما فعله
الرب على الصليب إذ دان الخطية في الجسد فليس الهدف من التجسد والصليب إلا
خلاص الإنسان ودينونة الخطية لكي تصير الخطية خاطئة جدًا فهو سيعاقب (الإثم)
ويفضح الخطية ويسمرها بالصليب.

الأصاح السابع والعشرون

نادى الرب شعبه ومختاربه في الآيات الأخيرة من الأصاح السابق أن يهرعوا ليختبئوا تحت ظل جناحيه في المسكن غير المصنوع بيد الذي ليس من هذه الخليقة أي جسده الذي أخذه من العذراء القديسة مريم وجعله واحدًا مع لاهوته... قائلاً لهم: هلم يا شعبي ادخل مخادعك وأغلق أبوابك خلفك واختبئ نحو لحيفة... حتى يعبر الغضب. لأنها ساعة دينونة الخطية وعقاب الشيطان ولا نجاة ولا خلاص إلا في الإلتجاء إلى الرب والإحتماء في صليبه خلف الباب الملطخ بالدم أي الاحتمال في الفصح الذي ذبح من أجلنا.

ثم يعود الرب في بداية هذا الأصاح ليعلن عقابه الشديد للحية القديمة الذي هو الشيطان في يوم الصليب حين سحق الرب الشيطان وكسر شوكة الموت الذي هو أجر الخطية.

١. "في ذلك اليوم يُعاقبُ الرب بسيفهِ القاسي العَظِيم الشديد لويآثان، الحية الهاربة. لويآثان الحية المتحوّية، ويقُتل التنين الذي في البحر".

لقد سحق الرب رأس التنين في مياه الأردن يوم أن اعتمد من القديس يوحنا السابق، يومها تقدم المسيح في صفوف الخطاة - كحمل الله حامل خطية العالم - وهو غير الخاطيء يومها قال الرب يليق بنا أن نكمل كل بر... فهو وحده البار القدوس، وحينما نزل إلى الأردن باتضاعه العجيب سحق رأس التنين على المياه، تمامًا كما في عبور البحر الأحمر يوم اعتمد الشعب لموسى في السحابة وفي البحر، سحق الرب بذراعه القوية ويمينه المعترزة. فرعون وكل قواته وغاصوا في المياه كالرصاص...

وفي يوم الأردن انكسر فرعون العقلي - التنين القاتل الحية المتحوية أي الحية الملتوية في طريقها المخادعة في حيلها، إبليس الخبيث الذي كان من البدء قتالاً للناس.

+ إن يوم الصليب كان يوم عقاب الشيطان، بسيف الرب القاسي العظيم والشديد.
القديس يوحنا الحبيب في رؤياه. نظر إلى الرب يسوع وكأن شيئاً ماضٍ ذو
حدين يخرج من فمه.
سيف الرب هو كلمته.

الكلمة صار جسداً وفي الصليب... تألم كلمة الله بالجسد تألم مجاناً عوض
الخطاة، لم يفعل خطية ولا وُجد في فمه غش، وقد بغى الشيطان، الحية الهاربة...
وأوغر صدر رؤساء الكهنة فأسلموه حسداً وحرك شهود الزور، ودبر محاكمات الظلام
وجند وحشد كل قواته... ضد الحق وبلا وجه حق.

وهكذا بلغ بالحية التي خدعت الكل بكل حيل الشيطان وقتلت بسمها كل جنس
آدم، بلغ بها الأمر حتى تجرأت على الحق وتجبرت بوقاحة فصنعت الصليب لتصلب
عليه ابن الله، فصعد على الصليب وقبل الآلام حتى الموت وعندما بلغ إلى الموت،
حطم كل جبروت إبليس وسحق الشيطان إذ لم يكن في الرب علة للموت، ولم يكن
ممكناً أن يُمسك من الموت لأن بذرة الموت لم تكن فيه... لم يكن الرب من زرع
البشر ولم يكن موت الخطية ساكناً في جسده مثل باقي البشر.

فصلب من أجل خطايانا وقام ببره، بقوة وعظمة وجبروت انكسرت شوكة الموت
"أين شوكتك يا موت" وانحطمت أسوار الجحيم "أين غلبتك يا هاوية".

انفضحت حيل الشيطان، قيد بالسلاسل الدهرية.

صار لنا بالمسيح سلطان أن ندوسها...

حقاً كان يوم الصليب يوم عاقب الرب فيه الحية القديمة بشدة وقوة وجبروت
وسحق الشيطان حتى إلى الحضيض.

٢. "في ذلك اليوم غنُّوا للكرمة المُشتهاة:

٣. أنا الرب حارسُها. أسقيها كل لحظةٍ. لئلا يُوقَع بها. أحرُسُها ليلاً ونهاراً".

عندما ارتفعت شجرة الصليب فوق جبل الجلجثة، ضربت جذورها في الأرض
ورواها الدم الزكي فأخرجت أغصانها وأينعت وأنضجت ثمارها هذه هي الصورة النبوية
الرائعة التي ترسمها كلمات هذه النبوة.

ثبتت الكرمة حيث الصليب، كما قال الرب يسوع أنا إن ارتفعت
أجذب إليّ كل واحد، مثل حبة الخردل صارت بذرة الإيمان بالصليب يرويهها
دم المسيح فصارت أعظم جميع الأشجار حتى أن طيور السماء صارت تأوي
إليها.

لقد قالها الرب قبل الصليب... إن حبة الحنطة إن لم تقع في الأرض وتمت
فهي تبقى وحدها ولكن إن ماتت تأتي بثمار كثيرة.
ومن الأمور التي يتعجب منها أن الرب نفسه صار يحرسها ويسقيها كل لحظة.
لأنها مشتهاة، قال الرب قبل الصليب، شهوة اشتهيت أن أكل معكم هذا
الفصح... وقال أيضًا إنه لا يشرب من نتاج الكرم إلى أن يشربه جديدًا في ملكوت
أبي "من الكرمة المشتهاة".

"من تعب نفسه يرى ويشبع" كما هو مكتوب.

+ هي شهوة الآباء، والأنبياء... نظروها من بعيد ورأوها وحيوها.

+ هي شهوة الأبرار والصدّيقين لأنها مسكن الله مع الناس.

+ هي شهوة القديسين لأنهم لا يعودون يخرجون إلى خارج وفوق الكل هي شهوة
الرب نفسه إذ يرى عروسه مزينة ومتحدة به التي اقتناها بدمه واشتراها من العالم وهو
يحرسها، بذاته، بوجوده فيها، ويحرسها بملائكته "ملاك الرب يحوط بكل خائفيه
وينجيهم... على أسوارك يا أورشليم أقيمت حراسًا".

ويحرسها بأسوار الخلاص وسياج القديسين.

ويسقيها كل لحظة... لا يكف الروح القدس أن يرويها ويخصبها... سواقي الله
ملآنة ماء، ويرويها بدمه الذي سال من جنبه على الصليب ويسقيها ماء الحياة، الذي
من يشربه لا يعطش إلى الأبد.

هكذا تكون الكنيسة مغروسة على مجاري مياه الروح القدس فتعطي ثمرها في
حينه وورقها لا ينتثر وكل ما تصنع تتجج فيه.

لئلا يُوقَع بها. أحرسها ليلاً ونهارًا.

الشیطان یترصّد الكنيسة، یجول حولها كأسد زائر یلتمس أن یتلّع واحدًا، وطلب أن یُغرِبَ التلاميذ كالحنطة...

وهو المشتكي على جنسنا، ويريد أن یوقع بنا.

ولیس من سبیل إلى النصره سوى الاحتماء بالرب فلیس فی قدرة الإنسان أن یغلب بذاته، لكن کفایتنا من الله والرب قد سبق وأخبرنا بكل حیل الشیطان وكل غوایاته وشکواه لذلك تعهد الكرمة التي غرستها یمینه بالحراسة الدائمة نهارًا ولیلًا، فی نهار الفرح ولیل الآلام... فی الفرح كما فی الضیق نحتاج دومًا إلى حراسة عنايته وعینه الساهرة علینا لئلا یوقع بنا فیقتنصنا العدو لإرادته.

٤. "لیس لی غَیظٌ. لیْتَ عَلِیَّ الشوکُ والحسکُ فی القِتالِ فأهْجُمُ علیها وأحرقها معًا.

٥. أو یتَمَسَّکُ بحصنی فیصنَعُ صلحًا معی. صلحًا یصنَعُ معی."

+ الكرمة المشتهاة هی فی مركز الرضى من الرب إذ هی جسده أو عروسه المحبوبة، لأنه قال "سأدعو غیر المحبوبة محبوبة" وقد عبر الغضب إلى الأبد، للحظة غضبه وحياة فی رضاه... عبر اللیل عن الكنيسة وأشرق علیها صباح القيامة، فی العشاء كان البكاء وفی الصباح السرور.

لذلك یقول الرب لیس لی غیظ لأنه قد نسی خطایانا كبعد المشرق عن المغرب،

لأن الغیظ والغضب یكون حیث تكون الخطیة "خطایاکم حببت الخیر عنکم".

أما وقد رفع المسیح خطایانا على الخشبة وقد مح الصک الذي كان علینا فمَنْ یشتکی على مختاری الله، لقد صرنا مقبولین ولنا جراءة فی کل حین أن نقترَب من الله وندعوه أبانا.

أما الشوک والحسک اللذان هما أجرة الخطیة وعلامتها الأولى "شوگًا وحسگًا تنبت لك الأرض" فشهوة الرب أن یحرقها معًا یکسر شوكة الموت ویبید سطوته، وهكذا فعل الرب یسوع بصلیبه حینما حمل إکلیل الشوک على رأسه فی یوم القتال العظیم فکسر شوكة الموت بموته.

أو یتَمَسَّکُ بحصنی فیصنَعُ صلحًا معی. صلحًا یصنَعُ معی.

+ ما أعجب الرجاء في شخص ربنا... حتى للمحسوبين أنهم أشواك وحسك حتى للذين صاروا من زرع العالم..

للذين يريدون أن يقاوموا الحق، ويضادوا الله، يفتح الرب باب الرجاء. إنه سيحرق الشوك والحسك بنار غيرته المقدسة، يجمع الحنطة إلى مخازنه.

فماذا لو رجع الإنسان عن طريقه الرديئة؟

إن كل شره الذي عمل لا يذكر كما قال الرب بضم حزقيال النبي تمسك بحصن الرب وصنع صلحاً مع الله...

إنه يكون قد نجى نفسه من الغضب واقتنى لنفسه سلاماً وحياءً إن الله يأمر جميع الناس أن يتوبوا متغاضياً عن أزمنة الجهل. فالآن إما أن يتمسك الإنسان بحصن الرب ويتمتع به ويصير في سلام مع الله أو يكون نصيبه مع الشوك والحسك تأكله نار لا تطفأ ودود لا يموت.

٦. "في المستقبل يتأصل يعقوب. يُزهرُ ويُفرعُ إسرائيل، ويمالأون وجه المسكونة ثماراً.

٧. هل ضربه كضربة ضاربيه، أو قُتل كقتل قتلاه؟

٨. بزجر إذ طلقتهَا خاصمتها. أزالها بريحه العاصفة في يوم الشريعة.

٩. لذلك بهذا يُكفر إثم يعقوب. وهذا كل الثمر نزع خطيته: في

جعل كل حجارة المذبح كحجارة كلس مكسرة. لا تقوم السواري

ولا الشمسات".

المسيح هو أصل وذرية داود.

وقد قالت النبوة أيضاً يخرج قضيب من جزع يسي وينبت غصن من أصوله

ويحل عليه روح الرب.

فالنبوة تتحدث عن ذرية داود الذي صار أصلاً ورأساً للخليقة الجديدة، التي هي

جسده ملئ الذي يملأ الكل في الكل.

في المستقبل، يتأصل يعقوب، يمد أصوله إلى أسفل، يبدأ بالاتضاع، من

المذود، ثم يزهر وتمتد الفروع من الصليب حتى تملأ وجه المسكونة من ثمار الروح القدس.

الذين لم تسمع أصواتهم إلى أقصاء المسكونة بلغ منطقتهم هذا هو إسرائيل الجديد، الكرمة الحقيقية، كنيسة العهد الجديد الكائنة من أقصاء المسكونة إلى أقصاها.

برجز إذ طلقها خاصمتها. أزالها بريحه العاصفة في يوم الشرقية لقد قال الرب للشعب القديم أين كتاب طلاق أمكم...

لأن كنيسة العهد القديم وقعت في الخيانة والتعدي التصقت بآخر وصارت له... باعت نفسها للعالم واتحدت بشهواته ففصلت نفسها عن الذي إقتناها ودعا نفسه وليها وبعلها ورجلها.

لذلك تكرر المرات التي خاطبها الرب قائلاً: "ارجعي عن زناك" وقد دعاها الرب بهذا الاسم البغيض مرات كثيرة على فم الأنبياء وكانت النتيجة للزيغان والذهاب وراء الآلهة الغريبة هو أن الرب يقول: "بزجر طلقته" إذ هو قدوس ولا يتصالح مع الخطية لأنه بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الأشرار وصار أعلى من السماوات. وليس فقط طلقها بمعنى أنه تركها وتخلي عنها ولكنها نالت جزاء محققاً "أزالها بريحه الشرقية العاصفة" كشجرة مهجورة أوصى الغيم أن لا يمطر عليها ونزع سياجها فجاءت عليها رياح الغضب ولفحتها كما للهلاك.

ولكن هل رفض الرب شعبه إلى النهاية، هكذا يتساءل إشعياء النبي قائلاً: هل ضرب الرب إسرائيل كما ضرب غيره من الأمم الذين اعتدوا عليه؟ أو قتل كقتل قاتليه؟

هذا السؤال يجيب عليه القديس بولس الرسول في رسالته إلى أهل رومية اسمعه يقول: "ألعل الله رفض شعبه؟ حاشا".

وقد أكد القديس بولس الرسول أن العداوة حصلت جزئياً لإسرائيل إلى أن يدخل ملئ الأمم وأن البقية ستخلص بحسب وعود الله "وإن كان عدد إسرائيل كرمل البحر، فالبقية ستخلص" (رو ٩: ٢٧) ثم يستطرد أيضاً "ألعلهم عثروا لكي يسقطوا؟ حاشا! بل بزنتهم صار الخلاص للأمم لأغارتهم... لأنهم إن كان رفضهم مصلحة العالم،

فماذا يكون اقتبالهم إلا حياة من الأموات؟" (رو ١١).

هذا هو قلب الله من نحو خلاص الجميع... أنه يجرح ويعصب يسحق ويده تشفيان.

لقد فتش وطلب خلاص الأمم البعيدين قائلاً: "وجدت من الذين لم يطلبوني وصرت ظاهرًا للذين لم يسألوا عني".

أما من جهة إسرائيل فيقول بسطت يدي طول النهار إلى شعب معاند... ولكن بعد أن يدخل ملئ الأمم يعود فيفتقد إسرائيل ويرد الفجور عن يعقوب. وهذا هو المستقبل الذي أنبأ عنه إشعيا قائلاً: في المستقبل يتأصل يعقوب يزهر ويثمر كالزيتونة الأصلية في يوم ينزع الرب خطيته التي هي احتقار المذبح وهدمه كما في أيام إيليا، وإقامة السمسات والسواري التي كان إسرائيل ملقي تحتها يشارك في عبادة الأوثان وزنى ورجاسات الأمم.

١٠. "لأن المدينة الحصينة متوحدة. المسكن مهجور ومتروك كالقفر.

هناك يرمى العجل، وهناك يربض ويتلف أغصانها.

١١. حينما تيبس أغصانها تتكسر، فتأتي نساء وتوقدها. لأنه ليس شعباً

ذا فهم، لذلك لا يرحمه صانعُه ولا يترأف عليه جابلهُ".

من التشبيهات التي وردت كثيراً في العهد القديم عن شعب الله وكنيسته

والجماعة المختارة المعينة والمختصة بالله أنها مدينة الله، وجبل الله ومسكن الله.

كما شبهت أيضاً بالكرمة والزيتونة والتينة أي الزرع المقدس المختار.

لذلك كانت سكنى المدينة والفرح والرقص والزمير وإمتلاء ساحاتها بالشبان،

والشيوخ وكرامة العذارى ولبسهن الثياب الفاخر... كانت كلها أمور تشير إلى الغنى

الروحي والفرح ووجود الله في مدينته.

والعكس صحيح فإن تخلي الله عنها كان يشار إليه بخراب المدينة وقتل شبابها

بالسيف وهلاك الشيوخ والحكماء وذوي المشورة وحزن النساء وانكسار العذارى.

وعلى هذا القياس أيضاً الثمار والأزهار في الكرمة والزيتونة يشير إلى إحسان

الله ومساندته ووجوده.

بينما الجفاف والحريق وعدم المطر وعدم الثمار يعني الترك والتخلي والغضب الإلهي.

كما رأى إشعياء إسرائيل القديم، كزوجة مطلقة أي متروكة رآها أيضًا مدينة خربة إذ رفضت عريسها ولم تقبل الذي جاء يفتقدها مشرقًا من العلاء "إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله".

الأصل أن تكون الكنيسة مسكنًا لله، والهيكل الجديد الذي هو الكنيسة مسكن مجد الله وحلوله إلى الأبد أما الذين لم يقبلوه فصار كما قال لهم "هوذا بيتكم يترك لكم خرابًا".

لقد كانت مدينة حصينة ومسكنًا دعي اسم الله عليه "هيكل الرب" إذ كان لهم التبني والمجد والعهود والإشتراع والعبادة والمواعيد ولهم الآباء منهم المسيح الكائن على الكل إليها مباركًا. ولكنهم أخرجوه خارج المحلة وصلبوه رافضين إياه وصرخوا إلى بيلاطس اصلبه اصلبه.

وصارت المدينة أورشليم الحاضرة مستعبدة مع جميع بيتها... وبعد أن كانت مدينة الملك العظيم، صارت متوحدة... وصار المسكن فيها وهو هيكل سليمان. صار مهجورًا كالقفر.

لأنه بدون المسيح ماذا يكون الهيكل؟

وبعد أن كان مسكنًا لله يحل فيه بمجده إنشق حجاب الهيكل إلى اثنين. "هناك يرمى العجل ويربض ويتلف أغصانها".

لما رفضوا المسيح صاروا مسكنًا للشيطان، المشبه بالعجل الذي عبده في البرية قديمًا في أيام موسى حين صنع لهم هارون عجلًا من الذهب وصاروا يرقصون حوله ويقولون هذه آلهتك يا إسرائيل التي أخرجتك من أرض مصر.

فهو يرمى ويربض ويتلف أغصان الكرمة والزيتونة.

التينة التي لعنها الرب يبست من أصولها وحينما تيبس أغصانها تنكسر.

لقد صارت الأغصان يابسة، لم تعد لها رطوبة النعمة ولا ليونة الحياة جفت تمامًا، لم يعد لها صلة بالعصارة الحية، صارت وكأنها منفصلة عن أصل الكرمة

ودسمها.

قال الرب كل غصن فيّ لا يأتي بثمر ينزعه.

وقد ناداهم يوحنا المعمدان أن الفأس وضعت على أصل الشجر كل شجرة

لا تصنع ثمراً تقطع وتلقى في النار.

أما القديس بولس فإنه يقول قطعت بعض الأغصان ويرجع هذا إلى عدم

الإيمان "بسبب عدم الإيمان قطعت".

وقد تعني اليبوسة، التصلف والكبرياء اليهودي الذي هو دائماً قبل الكسر "قبل

الكسر الكبرياء".

وقد ترجع اليبوسة إلى ريح الغضب اللافة التي لا سبيل إلى الأغصان إلى

إحتمالها عندما يوصي الرب الغيم ألا يظل الأغصان عليها ولا يمطر عليها بمطار

رحمته وحنانه لسبب العصيان.

وعندما تتكسر الأغصان، لا تصلح بعد لشيء، فيكون نصيبها مع عديمي

الإيمان في النار التي لا تطفأ قال الرب يسوع: إن كان أحد لا يثبت فيّ يطرح خارجاً

كالغصن ليحف ويجمعونه ويطرحونه في النار فيحترق (يو ١٥ : ٦).

والقديس بولس الرسول يجعل من هذا الموضوع تحذيراً شديداً للمؤمنين

أنه "قطعت بعض الأغصان لعدم الإيمان وأنت بالإيمان تثبت في اللطف".

لذلك مَنْ هو قائم فليُنظر لئلا يسقط لئلا فيما نحن ندين الأغصان التي جفت

ويبست نوجد نحن أنفسنا في علة العصيان أو قلة الإيمان أو الكبرياء أو عدم

الثبات في الله.

+ أما السبب الجوهري الذي يورده إشعيا النبي لهذا النصيب التعس لإسرائيل

فهو عدم الفهم... اسمعه يقول: لأنه ليس شعباً ذا فهم لذلك لا يرحمه صانعه ولا

يتراءف عليه جابله.

قال الرب لأورشليم: لو عَلِمْتَ أنت أيضاً، حتى في يومك هذا، ما هو لسلامك!

ولكن الآن قد أخفي عن عينيك (لو ١٩ : ٤١)، ليس شعباً ذا فهم لذلك

لا ينال رحمة ولا يتمتع بالرأفة لم يفهموا مشيئة الله من جهة أنفسهم بل رفضوها... لم

يفهموا ولم يميزوا زمان المسيح، الذي قال لهم تعرفون أن تميزوا وجه السماء أما

علامات الأزمنة فلا تستطيعون (مت ١٦ : ٣).

ولم يفهموا آياته ومعجزاته وكانوا يعثرون به ويقولون إنه ببعلزبول رئيس الشياطين يخرج الشياطين.

ولم يفهموا اتضاعه ولا مشاركته لنا في اللحم والدم فقالوا عنه أنه أكل وشرب خمر محب للعشارين والخطة وأخيراً لم يفهموا خلاصه لأنهم لو عرفوا لما صلبوا رب المجد رغم ما هو مكتوب عنه في الناموس والأنبياء والمزامير ...

١٢. "ويكون في ذلك اليوم أن الرب يجني من مجرى النهر إلى وادي مصر، وأنتم تُلْقَطُونَ واحداً واحداً يا بني إسرائيل.

١٣. ويكون في ذلك اليوم أنه يُضْرَبُ ببوق عَظِيمٍ، فيأتي التائهُون في أرض أشور، والمنفِيُّون في أرض مصر، وَيَسْجُدُونَ للرب في الجَبَل المُقَدَّس في أورشليم".

أخيراً كما هي العادة في نبوات إشعياء نبي الرجاء، يختتم كلمات الروح بإشراق الرجاء وبشارة الخلاص للبقية المختارة وكأنه الفجر يشرق دائماً بعد حلقة الظلام وكأنه نور القيامة يأتي في أعقاب مأساة الصليب وأختام القبر.

الرب يجني: أن عمل الخلاص بالصليب يكون في ذلك اليوم كجني القطف، وكمثل الحصاد كما قال الرب يسوع: "ارفعوا أعينكم... الحقول إنها قد ابيضت للحصاد... أرسلتكم لتحصدوا ما لم تتعبوا فيه. آخرون تعبوا وأنتم قد دخلتم على تعبهم" (يو ٤).

فالنفوس المعينة للخلاص والتي تستحق هذا النصيب المقدس تكون شهية في نظر الله كثمر حلو للصليب.

سيجني الرب حبات الزيتون الباقية في أغصان الزيتون العتيقة حين يفنقدها مرة أخرى بعد أن يدخل ملئ الأُمم سيجني الحنطة إلى مخازنه الأبدية أما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ.

+ "من مجرى النهر إلى وادي مصر".

في المناطق التي قال الرب لموسى أنها تكون تخوم الأرض التي يعطيهم إياها،

أرض الميعاد، أتى فشلوا أن يسكنوا فيها ويحققوا قصد الله من جهتهم.
سيجني الرب في ذلك اليوم، في زمن الحصاد المعروف عند الرب وحده ويضم
إليه الذين يخلصون ويجمعهم في حزمة الحياة الأبدية.
+ وأنتم يا بني إسرائيل تلقطون واحدًا واحدًا.
أي بالاسم، كما قيل في سفر الأعمال "وآمن الذين كانوا معينين للحياة الأبدية"
هو إبدأ إختيار، وتعيين بالاسم لميراث الحياة، لأنه إختيارنا فيه قبل تأسيس العالم،
والذين سبق فعرفهم سبق فاخترهم وعينهم فالبقية المختارة من الشعب القديم سيلقطن
واحدًا واحدًا ليدخلوا إلى هيكله الجديد ويصيروا شركاء الطبيعة الإلهية كأعضاء في
جسده الذي هو الكنيسة.

+ ويكون في ذلك اليوم أنه يضرب ببوق عظيم فيأتي التائهون...
البوق هو بوق الكلمة هو إنجيل الخلاص وبشارة الحياة الأبدية الذي أعطاه
الرب للرسل الأطهار لكي يبوقوا في المسكونة كلها ويحذروا من الهلاك ويبشروا
بالحياة (راجع حزقيال ٣٣).
+ التائهون في أرض آشور والمنفيون في أرض مصر.
إن المسيح يسوع قد جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك وقد قال بفم حزقيال
"أنا أرى غنمي وأربضها يقول السيد الرب أطلب الضال وأستر المطرود".
هذا هو الراعي الصالح الذي جاء ينادي للمأسورين بالإطلاق ويرسل المسحوقين
أحرارًا.

الذين تاهوا متغربين في أرض آشور، أرض سبي الخطية وسلطان إبليس.
الذين تغربوا تائهيين بعيدًا عن أورشليم بلا هيكل وبلا ذبيحة بلا صلاة بخور
وبلا مقدمة طاهرة، أي تغربوا بعيدًا عن الله تائهيين في العالم في مسالك الشر تجري
أقدامهم إلى سفك الدم، فإن الرب يهدي خطواتهم باستعداد إنجيل السلام ويقودهم في
موكب نصرته.

والمنفيون في أرض مصر نفى شهوات اللحم والدم، شهوات قدور اللحم والكرات
وقد وقعوا في عبودية فرعون العقلي يرزحون في عمل الطين مذلولين كل يوم إلى

هؤلاء وأولئك نادى الرب ببوق الكرازة ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد ويجمع منفيي إسرائيل ويجبر جميع كسر منكسري القلوب.

+ كل هؤلاء "يأتون ويسجدون للرب في الجبل المقدس في أورشليم".
قال الرب للسامرية تأتي ساعة وهي الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق، لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له (يو ٤ : ٢٣ - ٢٤).
سيجمع الرب أبناء الله المتفرقين إلى واحد، فيأتون ويسجدون بالروح الواحد على جبل الله المقدس في أورشليم الجديدة، لا كالسجود الذي كان يقدم بالجسد، بل السجود القلبي الذي يسر الآب وليس مرتبطاً بمكان مادي ولكن صارت الكنيسة - جبل الله - ومدينة الله - كائنة من أقصاء المسكونة إلى أقصاها.

الأصحاح الثامن والعشرون

١. "ويلٌ لإكليل فخر سُكَّارى أفرَيم، وللزَّهر الذَّابل، جمال بهائِه الذي على رأس وادي سمَّائِن، المضروبين بالخمَر.
٢. هوذا شديدٌ وقويٌّ للسَّيد كانهيال البرد، كنوءٌ مُهَلِّك، كسيل مياهٍ غزيرةٍ جارفةٍ، قد ألقاهُ إلى الأرض بشدَّة.
٣. بالأرْجُل يُداسُ إكليل فخر سُكَّارى أفرَيم.
٤. ويكون الزَّهر الذَّابل، جمال بهائِه الذي على رأس وادي السَّمَّائِن كباكوْرَة التين قبل الصَّيف، التي يراها الناظر فيبلعُها وهي في يَدِه".

كان إشعياى النبي قد أكمل ما يقرب من عشرين سنة من بدء نبوته، وكانت محاصرة سنحاريب ملك آشور لأورشليم في أيام حزقيا ملك يهوذا وشيكة الحدوث وقد صارت الصور وهي تقترب من بعيد أكثر وضوحاً أمام ناظري إشعياى فنطق بهذه النبوات كبوق أخير لعله يثير إنتباه الغافلين الذين شبههم في نبواته بالسكاري المترنحين من الخمر الذين لا ينفعمهم الإنذار ولا يسترعى إنتباهه شيء حتى يداهمهم الخطر كالمخاض للحبلى فلا ينجون كما قال الرب.

ويل لإكليل فخر سكارى أفرَيم.

عنده بداية دينونة الخطية يبتدئها إشعياى النبي بالكلمة القاسية "ويل" إذ قد مضى زمان التراءف والمراحم وكأن الباب قد أغلق... ما أشبه هذا بما قاله الرب عن مجيئه الثاني المخوف في يوم الدينونة - على المستوى الحسي والمادي - كما كابدته إسرائيل يوم إفتقاد خطاياها... "يوم شديد وقوي كانهيار البرد، كنوء مهلك، كسيل مياه غزيرة جارفة" لا سبيل للإنسان مهما كانت قوته أن يواجه مثل هذه الأحوال والمخاوف.

+ تبدأ الكرامة بتتويج الهامة بإكليل المجد، ويبدأ الهوان بنزع الأكاليل هكذا تبدأ الولايات على إكليل الفخر الذي على رأس أفرَيم (أي مملكة إسرائيل) فالملك والكاهن

والنبي، هم رأس الشعب في إسرائيل والذي يقلب صفحات التاريخ المقدس يجد عجبًا فمتى تألفت أرواح الملك والكاهن والنبي في الخضوع لوصايا الرب وأحكامه إنحدرت الخيرات والرضى على الشعب كله وتم قول الرب إن أرضت الرب طرق إنسان جعل حتى أعداءه يسالمونه وعلى العكس متى إغتر الملك بالسلطان وتاه الكاهن وراء المكاسب الزمنية وخضع النبي لروح العالم، تنهال المصائب تبعًا عن الشعب كله وتسري روح الزيفان عن الرب إلى القطيع المسكين.

لذلك بدء الدينونة يكون من المقدس والذين أودعوا كثيرًا يطالبون بالأكثر.

+ سكارى...

أحرى بنا أن نسمع قول الرب: "احترزوا لأنفسكم لئلا تتقل قلوبكم في خمار وسكر وهموم الحياة، فيصادفكم ذلك اليوم بغتة" (لو ٢١ : ٣٤).

لقد فقدوا الحس، والوعي الروحي، غرتهم الأباطيل الكاذبة فظنوها أمورًا دائمة، ولفتهم الهموم الوهمية كأنها حق واقع والحال ليس كذلك، لأنها باطل الأباطيل وقبض الريح لذلك انفصل الذهن الواعي عن النظر فصاروا يحيون بالحس الخارجي. أما الإدراك القلبي فقد غابوا عنه... لذلك أسماهم سكارى... ولكن يا للحسرة إن لحظة الإفاقة يعتصر القلب بالألم ولكن وقتها لا ينفع الندم ويطول البكاء وصرير الأسنان.

+ ألم يلهو بيلشاصر الملك حينما صنع وليمة عظيمة لعظمائه وشرب خمرًا، حين أخرج أنية بيت الرب، وقتها كتبت اليد الخفية على مكلس الحائط إن الرب أحصى ملكه وأنهاه وأنه وزن بالموازين الإلهية فوجد ناقصًا، وانتهى بيلشاصر في تلك الليلة.

+ ما أبعد الذين ينتمون إلى العالم ويتحيزون له، ويعتبرون أن تتعم يوم لذة، ما أبعدهم عن الواقع المر الذي ينتظرهم إنهم حقًا سكارى في كل أفراحهم وأيامهم التي يعيشونها ستنتهي لا محالة كما يفيق السكران فيتبدد فرحه وتذهب نشوته ويصطدم بالواقع الأليم.

+ الزهر الذابل جمال بهائه...

كل إنسان كعشب، وكل مجد الإنسان كزهر العشب، العشب يبس وزهره سقط.

يا لخبية الأمل فهي تأتي على الذين يعتبرون مجد العالم أنه شيء الغنى،
البهاء، المراكز، والمقتنيات والجسد وشهواته... إنه كزهر العشب... إن نظرة إلى
الوراء عشرات السنين تثبت ذلك تمامًا، وكمثلها إذ نظرنا عشرات السنوات إلى الأمام
ماذا سيكون حالنا... "جيل مضى وجيل يجيء... كما كان وهكذا يكون...".
ولو كان مجد العالم قد دام للذين من قبلنا، لصار نافعًا لنا ولكن هيهات... إنه
زوال... إنه قبض الريح كما قال الحكيم.

على رأس وادي سمائن المضروبين بالخمير.
لقد سمن الوادي وكثر ثمره وخيره مثل الرجل الذي أخصبت كورته فانتمخت
نفوسهم بالخير الزمني... أفرام تسمن، وسكر ولم يدركوا الكلمة التي قالها الرب لذلك
الغني الغبي "إن الليلة تطلب نفسك منك، الذي أعدته لمن يكون".
كان الرجل سكرانًا بالنجاح، نشوانًا بكثرة الخيرات وفي سكره نظر إلى ذاته وكأن
له خيرات كثيرة موضوعة لسنين عديدة.

إنه غارق في أحلام... مضروب بالخمير، فكانت نظرتة التفاؤلية في غير
موضعها، إنه فاقد التوازن هوذا مجدهم كزهر ذابل ولكنهم متكلون على كلام الكذب
وخيالات اللاوعي، يفخرون في تعظيمهم، لذلك لم يسمعوا صوت الرب ولم يميزوا
إنذار القدير لذلك جاءت دينونتهم هكذا أنه يداس إكليل الإفتخار هذا ويسقط الزهر
الذابل إلى التراب.

بالأرجل يداس إكليل فخر السكارى أفرام.

ماذا تكون دينونة إكليل الفخر الكاذب المرتفع بغش الكبرياء إلا أن يُداس
بالأرجل مثل دينونة كبرياء فرعون في البحر الأحمر، ومثل دينونة شيحون ملك
الأموريين وعوج ملك مدينة باشان، ومثل دينونة جليات المجدف والمعير لصفوف الله
الحي، حين انطرحت هامته إلى التراب وفنى مجده في لحظة خاطفة.

+ ويكون الزهر الذابل... كباكورة التين قبل الصيف... لا تشبع ولا تغني، مجرد
منظر يشتهي الناظر من بعيد، وهو في حقيقته لا يثبت ولا يدوم... إنه مجد دنيوي
زائل، وافتخار عالمي باطل... يفضح في يوم الدينونة وافتقاد الأعمال.

٥. "في ذلك اليوم يكون رب الجنود إكليل جمال وتاج بهاءٍ لبقية شعبه.

٦. وروح القضاء للجالس للقضاء، وبأساً للذين يردون الحرب إلي الباب".

١. إكليل جمال:

إن يوم دينونة الخطية، هو يوم الخلاص.

ويوم أن يداس إكليل فخر السكارى، ويذبل المجد الباطل يستعلن في الحال المجد الأبدي ويظهر الجمال والبهاء الحقيقي. هذا هو مضمون كلمات هذه النبوة.

إن داود النبي عندما قال في المزمور أن الرب قد ملك على خشبة (الصليب) قال أن الطهر والجمال العظيم في قدسه وأن الجلال والبهاء قدامه (مز ٩٥).

لقد حمل الرب يوم الصليب إكليل الشوك وحمل هو في جسده عقاب خطايانا لنصير نحن بر الله فيه وعوض إكليل الشوك فإنه يكلل محبيه بالكرامة.

وقد صار الرب نفسه هو الإكليل، وهو رأس الكنيسة ومجدها وهو باكورة الراقدين، والبكر من الأموات. الذين قبلوه، المختارون صار لهم نعمة وخلصاً وغفراناً للخطايا، وإكليل جمال وتاج بهاء، لأنه هو أبرع جمالاً من بني البشر، وهو بهاء مجد الآب ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته.

٢. روح قضاء:

+ ليس فقط تاج جمال وإكليل بهاء، بل أرسل روحه القدوس في يوم الخمسين لقضاة المسكونة - الرسل الأطهار - فحل عليهم مثل السنة نار، روح الاحراق، روح الحكمة والمشورة، روح المعرفة والافراز، روح القداسة والعدالة والسلطان وقد قال الرب لرسله القديسين "تجلسون على إثني عشر كرسيًا تدينون أسباط إسرائيل الإثني عشر".

وقد أعطاهم السلطان "كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماوات

وما حللتموه على الأرض يكون محلولاً في السماوات".

٣. بأساً للذين يردون الحرب:

+ وأيضاً يكون الرب في يوم الخلاص عزاً وقوة وبأساً وجبروتاً للذين يحاربون حروب الرب ويردون الحرب إلى الباب كما يقول المزمور "حينئذ لا يخزون إذ ما كلموا أعدائهم في الأبواب" لقد صار الرب قوتهم "قوتي وتسبحتي هو الرب قد صار لي خلاصاً" لأن الصليب هو قوة الله، وبه سحق الرب قوة المعاند وأمام الصليب يهرب الشيطان، وبإشارة الصليب تترد حروب الشياطين وفخاخهم وينكسر سلاحهم ويرجعون بخزي.

٧. "ولكن هؤلاء أيضاً ضلُّوا بالخمر وتاهوا بالمسكر. الكاهن والنبىُّ ترنَّحاً بالمسكر. ابتلعتهُما الخمر. تاهَا من المُسكرِ، ضلَّ في الرُّبَا، قَلِقا في القضاء".

الكاهن، المؤتمن على الشريعة، من فمه تطلب لأنه رسول رب الجنود والكاهن شفيح يقرب قرابين وذبائح عن الشعب.

والكاهن خادم الأقداس أي كارز بالقداسة و متمسك بها. والكاهن مفرز ومكرس لم يأخذ نصيبه من الميراث الأرضي حين قسموا الأرض لأن الرب هو نصيبه، يأكل من الأقداس، والعشور، يلزم المذبح ومن المذبح يأكل وهكذا النبي، إنسان ملهم، يسلك بالروح، ويقتاد بالروح ويحمله الروح، ويخبره بأمر آتية.

النبي في وسط الشعب كمثل السراج المنير في موضع مظلم فلو أن إنساناً أخطأ فإن الكاهن يصلي من أجله، فإن أخطأ الكاهن فمَنْ يُصلي عنه...

وإن زاع الشعب فإن النبي ينذره ويوبخه فإن زاع النبي فماذا يكون بعد؟

حتى هؤلاء، الكاهن والنبي؟ اللذين أئتمنهما الرب على قطيعه؟

دخل العالم بالغوابة إلى الجميع... ابتلعتهما فتاها في طريق غير مستقيم، أظلمت العين عن الرؤيا الإلهية، لأن العين شبعت من الأباطيل أما القضاء والأحكام والشريعة فلا مكان لها مع إنسان مترنح بخمر العالم وسكره.

٨. "فإن جميع الموائد امتلأت قيئاً وقذراً. ليس مكان".

موائد القضاء، امتلأت رشوة، ومحاباة، وصار عليهم ظلم الفقير واليتيم والأرملة، وابتلع حق الضعيف.

موائد الكهنة في الهيكل صارت للتجارة والإهتمامات المادية كأنها موائد الصيارفة.

إنها أشياء قبيحة ومكروهة جداً.

+ ليس مكان للحق، وليس مكان للروح والحياة، والقداسة وإن صح التعبير ليس مكان لله "ابن الإنسان ليس له أن يسند رأسه".

لذلك عندما دخل الرب يسوع الهيكل ورآه على هذه الحالة الأسيفة، قلب موائد الصيارفة وطرد باعة الحمام وقال كلمته الإلهية المكتوبة لهم قديماً "بيتي بيت الصلاة يدعى وأنتم جعلتموه مغارة للصوف".

إن كان أفرام قد وصل إلى هذه الحالة المهينة من التسفل إلى التراب والإنحياز إلى العالم والسكر بخمار الدنيا وإهتمامات الجسد، وإن كان حتى الكاهن والنبى قد ترنحا بالخمير وتاها عن القضاء ومعرفة الشريعة وامتلات موائدهما قذراً وقيئاً.

إذ صار الحال كذلك يتساءل النبي قائلاً:

٩. "لَمَنْ يُعَلِّم مَعْرِفَةً، وَلَمَنْ يُفْهَمُ تَعْلِيمًا؟ أَلْمَفْطُومِينَ عَنِ اللَّبَنِ،

لِلْمَفْصُولِينَ عَنِ الشَّدِيِّ؟".

وهذه هى نفس الصيغة التي بدأ بها إشعياة الأصحاب الشهير لآلام المسيح (إش ٥٣) قائلاً: "يارب مَنْ صدق خبرنا، وَلَمَنْ اسْتَعْلَنْت ذِرَاعَ الرَّبِّ؟".

فهو هنا يقول متعجباً، إِذَا مَنْ يَعْلَم وَيَعْرِف مَنْ يَفْهَم وَيَسْتَوْعِب كَلِمَاتِ الرَّبِّ وَإِنذَارَاتِهِ؟

ليس من فاهم ولا سامع ولا عارف إرادة الرب... ليس بار ليس ولا واحد... ثم يعود إشعياة النبي فيضيف قائلاً: أَلْمَفْطُومِينَ عَنِ اللَّبَنِ، لِلْمَفْصُولِينَ

عن الثدي؟

هل توجد هذه العينة بين الشعب!!؟

الذين تشبهوا بقول داود "إِن كُنْتُ رَفَعْتُ صَوْتِي مِثْلَ الْفَطِيمِ مِنَ اللَّبَنِ عَلَى أُمِّهِ
كَذَلِكَ الْمَجَازَاةُ عَلَى نَفْسِي" لأنه لا يسمع صوت الرب إلا المفطومين من العالم الذين
قطعوا صلّتهم بالملذات العالمية والشهوات الرديّة.
الذين فصلوا أنفسهم عن الثدي العالم لكي يشبعوا من الثدي تعزيات
الروح القدس.

إذ يستحيل على الذين مازالوا ملتصقين بالعالم، وغير المفطومين أن يذوقوا
تعزيات الروح ولا يفطنوا لكلمة الخلاص.

١٠. "لأنه أمرٌ على أمر. أمرٌ على أمر. فرضٌ على فرض. فرضٌ على
فرض. هنا قليلٌ هناك قليلٌ".

لقد صارت تكرارًا مملًا، وأوامر وفروض تليها أوامر وفروض، لقد استعفوا من
المتكلم ورفضوا أن تزداد لهم كلمة...

كما ملّ الشعب في القديم التقاط المن النازل من السماء وأكله وقالوا قد كرهت
نفوسنا هذا الطعام السخيف!! ولم يعلموا أن الرب بهذا التكرار وطول الأناة واللفظ
إنما يجدد فرص التوبة والرجوع، وهو ينادي لا مرة ولا مرتين بل
مرات ومرات، لكي يفيق الذين سكروا من الخمر وترنحوا من المسكر، هؤلاء ييكتهم
كلام الرسول بولس: "أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته، غير
عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة؟ ولكنك من أجل قساوتك وقلبك
غير التائب، تذخر لنفسك غضبًا في يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة"
(رو ٢: ٤ - ٥).

١١. "إنه بشفّة لکناء وبلسان آخر يُكلّم هذا الشعب".

لقد تكلم الرب مع شعبه بشفتي إشعيا وحب ولطف وصار لسانه قلم كاتب
ماهر يصف لهم مَنْ هو أبرع جمالاً من بني البشر ويكرز بعمانوئيل رئيس السلام
وَأزمنة المسيا إله الخلاص. ولكن لمن؟ اللغارقين في خطايا وشرور؟ أم للسكاري

بخمر العالم؟

لذلك يعود الرب فيقول إنه سيكلمهم بشفة لکناء، ولسان آخر بلسان سنحاريب ملك آشور ولسان ريشاقي رئيس الجند في الحصار، بعد أن رفضوا كلام الرحمة والحب والتوبة والرجوع لم يبق سوى لسان الدينونة وكلمات العقاب.

+ الذين قسوا قلوبهم وهو ينادي ارجعوا إليّ أرجع إليكم يقول الرب، سيسمعون في النهاية الصوت "اذهبوا عني يا ملاعين...".

+ الذين لم يسمعوا صوته الحنون يقول "افتحي لي يا حبيبتي لأن شعري امتلأ من الطل وقصصي من ندى الصبح" ولم يحننوا قلوبهم نحو جراحاته وإكليل شوكة... سيغلق من دونهم الباب ويقولون يا ربنا يا ربنا افتح لنا فيجيب ويقول الحق أقول لكنّ إني ما أعرفكن.

ليتنا نعتبر فنسمع صوته ولا نقسي قلوبنا فنفوز برحمته ولا يكلمنا بلسان آخر.

١٢. "الذين قال لهم: هذه هي الراحة. أريحوا الرّاح، وهذا هو السّكون. ولكن لم يشاءوا أن يسمّوا.

١٣. فكان لهم قول الرب: أمراً على أمر. أمراً على أمر. فرضاً على فرض. فرضاً على فرض. هنا قليلاً هناك قليلاً، لكي يذهبوا ويسقطوا إلى الوراء وينكسروا ويصادوا فيؤخذوا".

لقد قال لهم الرب عن الراحة والسكون، والقديس بولس الرسول يؤكد لنا أن الوعد بالراحة مازال قائماً لنا ولكن ليس مكان راحة أرضي وميراث ترابي.

"فلنخف، أنه مع بقاء وعدٍ بالدخول إلى راحته، يُرى أحدٌ منكم أنه قد خاب منه!" (عب ٤ : ١).

ويؤكد أيضاً أن كلمة الخبر والكراسة لم تتفع هؤلاء لعدم الإيمان...

ويقول إذا بقيت راحة لشعب الله!... فلنجتهد أن ندخل تلك الراحة (عب ٤).

أم أمن ناحية السكون - الذي يشير إلى الهدوء والوداعة... فقد رذل الشعب مياه شيلوه الجارية بسكوت وسروا برصين وابن رمليا كما هو مكتوب (راجع تفسير الأصحاح ٨).

ولكنهم لم يشأوا أن يسمعو... هذا هو أصل الداء، إن الإرادة منحرفة والأهداف صارت غير سماوية فكيف يسمعون الصوت الإلهي؟ والنتيجة المؤسفة لعدم طاعة الصوت الإلهي أنهم يسقطوا إلى الورا و ينكسروا ويصادوا، فيؤخذوا وكلها أفعال مخيفة - حتى على مستوى الواقع المادي - فلم يكن الحال في قبول دينونة مخيفة وهلاك الناس الأشرار!!؟

١٤. "لذلك اسمعوا كلام الرب يا رجال الهُزء، ولاة هذا الشعب الذي في أورشليم.

١٥. لأنكم قلتم: قد عقدنا عهداً مع الموت، وصنعنا ميثاقاً مع الهاوية. السوط الجارف إذا عبّر لا يأتينا، لأننا جعلنا الكذب ملجأنا، وبالغش استترنا.

١٦. لذلك هكذا يقول السيد الرب: هأنذا أوّسس في صهيون حجراً، حجر امتحان، حجر زاوية كريماً، أساساً مؤسساً: مَنْ آمن لا يهرب".

قال الحكيم "الخمير مستهزئة"... فالذي يشرب الخمر يصير مستهزئاً لأنه يفقد وعيه ويأتي أعمالاً غير كريمة ويصغر في نظر الناس.

أما ولاة أورشليم فصاروا في عرف الروح رجال هزء لأنهم إتخموا من غرور العالم وغناه وصاروا سكارى بغير خمير لذلك يخاطبهم الروح "رجال الهزء" وقد قيل في المزمور طوبى للرجل... الذي في مجلس المستهزئين لم يجلس فلا موضع لرجل كامل حافظ لوصايا الله في وسط ولاة أورشليم!

لقد صنعوا عهداً مع الموت وميثاقاً مع الهاوية!! والأصل أنهم مدعوون أن يصنعوا عهداً مع الحياة... لقد كتب قديماً "ها قد جعلت أمامك طريق الحياة وطريق الموت اختر الحياة فتحياً" ولكنهم فضلوا الموت على الحياة، والهاوية على الملكوت، وانحازوا للشيطان...

قال الرسول يعقوب "مَنْ أراد أن يكون محباً للعالم فقد صار عدواً لك". وقد أوهمهم الشيطان أنهم بانحيازهم للعالم يصيرون في أمان من النكبات وفي مأمن من السقوط الجارف... ولكن هذا كذب.

فالذين ينحازون للعالم يحرقهم العالم يحرق أجسادهم بيدد قوتهم، فكيف يستطيع الشيطان أن يخلص تابعيه... أو يعدهم بالحرية وهو ذاته مقيد بسلاسل أبدية. إنها خدع الشيطان في كل جيل، ولكن ليكن معلوماً أنه لا خلاص ولا حياة ولا حرية ولا أبدية سوى بالمسيح يسوع لذلك نطق إشعياء في الحال معلناً عن صخر الدهور، حجر العثرة وصخرة الشك للذين يهلكون، كل مَنْ سقط عليه يتروض ومَنْ يسقط عليه هو يسحقه.

ولكن للمبنيين على أساسه وللمختارين فيه، فهو لهم صخر الدهور الذي لا يخزي المتكلمين عليه "ومَنْ آمن به لا يهرب".

هذا هو الحجر الذي رذله البناؤون... وقالوا اصلبه، ومن البدء لم يسمعوا كلمته بل قالوا عقدنا عهداً مع الموت.

لأننا جَعَلْنَا الكَذِبَ مَلْجَأً، وبِالْغِشِّ اسْتَتَرْنَا.

إن الشيطان هو الكذاب وأبو الكذاب كما قال ربنا. أولاد الله يقولون بضم داود "جعلت العلى مسكنك فلا تصيبك الشرور ولا تدنو ضربة من مسكنك".

فهم يسكنون في ستر العلي وفي ظل الإله القدير يبيتون (مز ٩١).

فالرب هو الصخر والملجأ، الحصن المنيع الذي يلجأ إليه الصديق ويتمتع ولكن رجال الهزء في غمرة الاستهتار اتكلوا على الكذب واستتروا بالغش، وهو في الواقع ليس سترًا بل فضيحة وعار.

١٧. "وأَجَلَّ الحَقَّ حَيْطًا وَالْعَدْلَ مِطْمَارًا، فَيَخْطَفُ البَرْدُ مَلْجَأَ الكَذِبِ، وَيَجْرَفُ المَاءُ السَّتَارَةَ.

١٨. وَيُمْحَى عَهْدُكُمْ مَعَ المَوْتِ، وَلَا يَثْبُتُ مِشَاقِكُمْ مَعَ الهَاوِيَةِ. السَّوْطُ الجَارِفُ إِذَا عَبَّرَ تَكُونُونَ لَهُ لِلدَّوْسِ.

١٩. كَلِمَا عَبَّرَ بِأَخْذِكُمْ، فَإِنَّهُ كُلُّ صَبَاحٍ يَعْْبُرُ، فِي النِّهَارِ وَفِي اللَّيْلِ، وَيَكُونُ فَهْمُ الخَبْرِ فَقَطْ انزِعَاجًا".

الرب يسوع بظهوره - كحجر الزاوية للمفديين - أبطل عمل الشيطان، وبروح

الحق - الروح القدس - أباد روح الكذب والغش والخداع وكل نجاسة، فحجر الأساس في البناء الجديد هو الرب يسوع وروح الحق هو الخيط المطمار الذي يحفظ الحجارة الحية المبنية في استقامة ووحداية.

+ هنا انفضح الشيطان وستارة الكذب والغش تبددت، قال ربنا يسوع الآن دينونة رئيس هذا العالم، الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجًا. ومرة أخرى قال رأيت الشيطان ساقطًا من السماء مثل البرق أما الذين احتموا به وربطوا نفوسهم في عهد عم الشيطان فإنهم سيكابدون عقابًا أبديًا.

يكون فهم الخبر انزعاجًا:

عندما تكلم رب المجد يسوع عن ظهوره الثاني المخوف ودينونة الخطية قال إن الناس يغشى عليهم من هول ما يكون، والخطاة يقولون للجبال اسقطي علينا وللاكام غطينا ولكن هيهات فستر الكذب وملجأ الغش لا يستطيعان أن يستراهما في يوم الرب العظيم والمخوف.

٢٠. "لأن الفراش قد قصرَ عن التَّمَدُّدِ، والغِطاء ضاقَ عن الالتحَافِ.

٢١. لأنه كما في جبل فراصيم يقوم الرب، وكما في الوطاء عند جبون يسخط ليفعل فعله، فعله الغريب، وليعمل عمله، عمله الغريب.

٢٢. فالآن لا تكونوا متهكمين لئلا تُشدد ربُّطُكم، لأنني سمعتُ فناءً قضيَ به من قبل السيد رب الجنود على كل الأرض".

لقد سمع إشعياء من فم الرب حكم القضاء وفناء الأشرار وهو يعلم علم اليقين أن الرب لا يخلف وعده وأنه لا يتباطأ وأن السماء والأرض تزولان ولكن كلامه لا يزول. ولكن رجال الهزة لم يكتفوا بالسكر بخمار العالم بل صاروا يتهمون باستهتار ووقاحة على كلمة الرب. وقد كمل فيهم قول القديس بطرس الرسول "سيأتي في آخر الأيام قوم مستهزئون، سالكين بحسب شهوات أنفسهم، وقائلين: أين هو موعد مجيئه؟" (٢ بط ٣: ٣ - ٤).

+ لهؤلاء يقول إشعياء النبي لا تكونوا متهكمين لئلا تشدد ربطكم لأن التهكم

والاستهتار سيزيد عليهم الضربات ويشدد عليهم الرباطات والسلاسل التي سيوتقوا بها
عندما يحل عليهم الغضب.

الفرش قصر عند التمدد:

وعندما وصف إشعياء حال الواقعين تحت الدينونة أورد هذا التشبيه العجيب
كمثل إنسان على سرير قصير فلا يستطيع أن يمدد ذاته وحتى الغطاء ضاق عن
الالتحاف، فلا هو ينعم براحة ولا بدفء ويصير في تعب وحيرة وقلق ولكن
لا سبيل إلى الخروج منها، إنها ورطة ومرارة نفس وويل.
+ أما عمل الله "عمله الغريب، وفعله الغريب".

فهو مستغرب في أعين غير المستعدين، وغير المتوقعين وغير السهارى؟ إذ
يكونون في حيرة وربكة لا مثل لها.
على عكس المستعدين والمتوقعين الخلاص الذين يفرحون ويرفعون رؤوسهم لأن
نجاتهم تقترب.

أما هؤلاء فإنه يفاجئهم الهلاك بغتة كالمخاض للحبلى فلا ينجون.

٢٣. "اصغوا واسمعوا صوتي. انصتوا واسمعوا قولي:

٢٤. هل يحرث الحارث كل يوم ليزرع، ويشق أرضه ويُمهدّها؟

٢٥. أليس أنه إذا سوى وجهها يبذر الشونيز^(١) ويدرّي الكمون،

ويضع الحنطة في أتلام، والشعير في مكان معين، والقطاني في

حدودها؟

٢٦. فيرشدّه. بالحق يُعلمه إلهه.

٢٧. إن الشونيز لا يُدرس بالنورج، ولا تُدار بكرة العجلة على الكمون،

بل بالقضيب يخبط الشونيز، والكمون بالعصا.

٢٨. يُدقُّ القمحُ لأنه لا يدرسه إلى الأبد، فيسوق بكرة عجلته وخيله.

لا يسحقه. هذا أيضًا خرَج من قِبَل رب الجنود عجيب الرأي عظيم

(١) الشونيز: نبات بذره يُسمى حبة البركة.

الفهم.

إذ صار الشعب في بلادة الذهن بسبب الخطايا كان لا بد للرب الإله أن يتوسط بمثل، لأنهم صاروا "لهم آذان ولا يسمعون" وقد كلمهم الرب بما هو مألوف في حياتهم اليومية في الزرع والحصاد وما يعتبر عندهم قواعد ثابتة ونظم لا تخالف. فهم يعلمون جيدًا أنه للزرع وقت ولقلع الزرع وقت ولبذر البذور وقت وللحصاد وقت.

فإن كان هكذا مع نبات الأرض، فهو لأبد أنه يحدث أيضًا مع الإنسان حينما يفترقه صانعه، وفي حديث ربنا يسوع عن نهاية العالم شبه ذلك الوقت بالحصاد، "مثل زوان الحقل" وقال: "الحصاد هو انقضاء العالم. والحصادون هم الملائكة" (مت ١٣: ٣٩).

فكما يميز الزارع بين نبات وآخر في طريقة الزراعة وفي ميعاد الحصاد وطريقته، هكذا يكون في وقت الدينونة.

فيجمع الحنطة المكرومة إلى المخازن الأبدية، وأما التين فيحرقه بالنار فإن كان هذا التمييز عند الزارع هو من الله "يرشده الحق يعلمه إلهه" فالذي يعلم الزارع ألا يميز أولاده ومختاربه في يوم الحصاد "فلا يسحقهم"!!؟

إنه عجيب الرأي عظيم الفهم، لأنه مَنْ عرف فكر الرب، ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء.

الفهرس

.....

٥ تقديم:
٦ مقدمة:
١١ الأصاح الأول:
٣٥ الأصاح الثاني:
٤٨ الأصاح الثالث:
٦٥ الأصاح الرابع:
٧٣ الأصاح الخامس:
٩٧ الأصاح السادس:
١١٢ الأصاح السابع:
١٣٣ الأصاح الثامن:
١٥٢ الأصاح التاسع:
١٧٦ الأصاح العاشر:
١٩١ الأصاح الحادي عشر:
٢١١ الأصاح الثاني عشر:
٢٢٠ الأصاح الثالث عشر:
٢٢٩ الأصاح الرابع عشر:
٢٤٤ الأصاح الخامس عشر:
٢٥٢ الأصاح السادس عشر:
٢٥٩ الأصاح السابع عشر:
٢٦٥ الأصاح الثامن عشر:
٢٧١ الأصاح التاسع عشر:
٢٨٤ الأصاح العشرون:
٢٨٧ الأصاح الحادي والعشرون:

٢٩٥ الأصحاح الثاني والعشرون:
٣٠٧ الأصحاح الثالث والعشرون:
٣١٤ الأصحاح الرابع والعشرون:
٣٢٤ الأصحاح الخامس والعشرون:
٣٣٦ الأصحاح السادس والعشرون:
٣٤٩ الأصحاح السابع والعشرون:
٣٦١ الأصحاح الثامن والعشرون:

